المشرق

مناعي آل الوطن في اثناء الحرب

نظر عمومي للاب لويس شيخو اليسوعي

كان ملاك الموت محوّماً فوق عالمنا مدّة هذه الحرب العموميّة فيضرب بسيفهِ البتّار اعمـار البشر ويحصدهم بتعجله كلّ يوم بالالوف . فنهم قتلى الحرب ومنهم صرعى المجاعات وغيرهم ضحايا الاوبئة وبعضهم شهداء الدين والعلم والادب

وكان لشرقنا العزيز حصّة وافية في تلك المناعي تتوارد علينا تترى وكم منها يأتي عنّا مكتوماً في بطون النسيان لانقطاع الاخبار ومعظمُ الصحائف قد أُبطلت طوعاً او كرهاً

وكان في ودّنا ان نذكر كلّ ابناء الوطن على صفحات مجلّتنا لئلا يُفقد ذكرهم بين مواطنيهم ولكن كيف يمكن وصف مآثرهم والاقلام عاجزة عن تعداد اسمائهم . ومن ثمّ قد اكتفينا بذكر بعض اكابر الوطن من افاضل الاكليروس العلماني والرهباني ومن اماثل العلماء والادباء ممّن وقفنا على شيء من آثارهم بالايجاز دون الاسهاب

*

١ الاكليروس العلماني

وصف الاحبار

الحبر الاعظم بيوس العاشر يحقّ علينا ان نفتتح كلامنا بمنعى ذلك الحبر الجليل ورئيس الكنيسة الجامعة بيوس العاشر السعيد الذكر الذي كانت هذه الحرب سبباً لوفاتهِ فانّهُ اذ رأى شعوباً عديدة من ابناء كنيستهِ انتشبت بينهم

افظع كلّ الحروب واعظمها اهوالًا فصارت دماؤهم تجري كالسيول انفطر قلبهُ الابوي بعد ان سعى جهدهُ في ايقاف تلك الزعازع الجائحة دون الفوز بالمرام فلفظ روحهُ البارّة بين يدي خالقها في ٢١ آب ١٩١٤. وفي الليلة ذاتها كانت وفاة رئيس رهبانيّتنا العام الاب فرنسيس فرنس في رومية مزوّدًا ببركة الحبر الاعظم فاقترنا بالموت كما اقترنا في الجهاد الصالح وخدمة الكنيسة

البطريرك كيرلّس جحا رُزئت طائفة الروم الملكيين الكاثوليك بوفاة امام احبارها السيّد البطريرك كيرلّس جحا وكان غبطتهُ في القطر المصري لمّا أُعلنت الحرب العموميّة مفكّرًا بالرجوع الى الشام. فبقي هناك يُشاطر ابناءهُ المنكوبين احزانهم دون ان يستطيع ان يلطّف تلك الاوجاع ماديًا او ادبيًا. بل نقمت عليه الدولة العثمانيّة لحضوره حفلة المبايعة للسلطان حسين كامل خلف الخديوي عبّاس فحكمت بخلعه واصرت السادة الاساقفة باقامة نائب مدنيّ عنهُ دون أن تتعرّض لشؤونهم الروحيّة. ففعلوا وتعيّن المطران باسيليوس حجّار رئيس اساقفة صيدا كقائمقام زمنيّ. وكان السيّد البطريرك في تلك الاثناء قد برح الحياة منتقلًا الى دار البقاء في ٩ ك٢ ١٩١٦. وكان مولدهُ في حلب في ٢٦ ت٢ ١٨٤٠ وعليها سُقّف في ٣ ايّار ١٨٨٥ الى أن رُقّي الى السدّة البطريركيّة في ٢٩ حزيران ١٩٠٢. واعمالهُ في خير طائفته الكريمة معروفة لدى الخاصّ والعام مسطّرة على صفات القلوب لا يبرح ذكرها مخلّدًا (اطلب المشرق ٥ [١٩٠٢]: ٦٢٥ و١١ [١٩٠٨]: ٥٤٤)

المطران باسيليوس حجّار توفّي في دمشق في ١٧ شباط ١٩١٦ في شيخوخة صالحة كان لبنانيّ الاصل مولدهُ في جزّين في ٦ ك٢ سنة ١٨٣٩ وبعد ان تولّى رئاسة اساقفة بصرى وحوران في ٢٤ ت١ سنة ١٨٧٠ نُقل الى اسقفية صيدا ودير القمر وتوابعهما في ١٦ حزيران ١٨٨٧ فخدم طائفتهُ بجدّ ونشاط وهو الذي شيّد كنيسة صيدا الكاتدرائيّة وعزّز مقام سيّدة المنطرة وقد كتب في وصفها كتاباً. وقد عرّب كتابين للآباء بآرمينوس وهما وصيّة السيد المسيح الاخيرة من على الصليب وسلّم السعادتين وعُني بطبعهما. وكان رحمهُ الله ذا نفوذ عند أرباب الدولة العثمانية وعليه وقع اختيارها لما حتمت بتعيين قائمقام زمني للطائفة. على أنّهُ لم يحظَ بهذا الامتياز زمناً طويلًا فمات بعد شهرين وقد صار لهُ في دمشق مأتم حافل

المطران اثناسيوس صوايا كانت احوال ابرشيته حكمت عليه بالقيبة عنها الى الاصقاع الاوروبيَّة والاميركيَّة. الَّا انَّ الاشغال والهموم كانت انهكت قواهُ فبقي مدَّة مريضاً في مرسيلية الى ان دُعي الى ملاقاة ربِّه في ٩ نيسان ١٩١٩. وقد سبق المشرق وذكر خلاصة سيرته مع رسمه الكريم في سنة انتخابه لكرسيّ رئاسة اساقفة بيروت في ٥ شباط ١٩٠٥ (المشرق ٨: ١٩٣)

المطران يوسف اسطفان كان هذا الحبر المنضال من أسرة آل اسطفان الشهيرة باحد بطاركتها وبعض اساقفتها منهم المثلَّث الرحمات المطران جرجس خير الله اسطفان مؤسس مدرسة عين ورقة الاكليركيَّة. ففي هذه المدرسة دخل السيِّد يوسف وفيها تلقَّن العلوم الدينيَّة واللُّغوية وعليها تراَّس سنة ١٨٨٤. واقام في تدبيرها الى آخر حياته وهو الذي جدَّد ابنيتها على طرز جديد. وقد رقَّاهُ البطريرك يوحنَّا الحاج الى رئاسة اساقفة قورش شرفاً في ٢٤ ايلول ١٨٩٦ وجعلهُ مستشاراً بطريركيًّا. كانت وفاتهُ في ٤ تمُّوز ١٩١٥ ولهُ من العمر سبعون سنة

المطران بطرس شبلي فُجعت الطائفة المارونية بوفاته منفيًّا في آطته في ٢٠ آذار ١٩١٧ وهو في كمال سنِّه لا يتجاوز عمرهُ ٤٧ سنة وعليه معوَّل آمال طائفته لما ازدان به من الفضيلة والعلم. ولد كرَّم الله ضريحهُ في دفون (لبنان) في ١٩ ك١ ١٨٧٠ وباشر دروسهُ في بيروت في بعض المدارس من جملتها مدرستنا الكليَّة ثم دخل مدرسة سان سوابيس الاكليركيَّة فامتاز بين نخبة تلامذتها. ثمَّ خلف الطيِّب الذكر السيِّد يوسف الدبس في ٩ شباط ١٩٠٨ فرعى شعبهُ بكل غيرة وتفانٍ. وكان في اوَّل الحرب يتجوَّل في فرنسة حيث حضر المجمع القرباني في لورد وتتويج الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر في رومية. واهتمَّ سيادتهُ في السنتين الاوليين من الحرب بتلطيف اوجاع رعيَّته على قدر امكانه. وقد اثابتهُ فرنسة بوسام جوقة الشرف وكان حُبُّهُ لهذه الدولة من اسباب نفيه وموته. وقبل كل ذلك بصبر جميل بل ببهجة الضمير الصالح الذي يرى في كلّ شيء عناية الله وينقاد لمشيئته الالهيَّة. والسيِّد بطرس شبلي عدَّة آثار طُبع منها بعضها لاسيَّما ترجمة البطريرك اسطفانوس الدويهي التي احيا بها ذكر ذلك الحبر الجليل فخر طائفته بعلمه وعمله ثمَّ ودَّ ساويرس على افتيثيوس. والباقي لا يزال مخطوطاً لنا الامل بان يُنشر قريباً

المطران يوسف صقر هذه ايضاً زهرة نضرة ذوت قبل اوانها وغصن رطيب قُصف ليناً بتأثير طوارق الحرب. وُلد هذا السيد في زحلة سنة ١٨٧٢ ودرس العلوم في كلية القديس يوسف مدة ١٢ سنة وبعد ان خدم الكرسي البطريركي بصفة كاتب أسراره رُقي الى درجة رئيس اساقفة على حماة شرفاً في ١١ شباط ١٩١١ وقد استحق بفضله وحكمته ولين عريكته حب رؤسائه ومعاصريه ولسنا ننسى انهُ حرّر في مجلتنا المشرق فصولاً مستحسنة عن اخلاق اللبنانيين وعاداتهم. توفي بالتيفوس بعد حضوره حفلة الجناز عن نفس السيد بطرس شبلي في ٢٠ نيسان ١٩١٧

المطران بولس بصبوص كان من تلامذة مدرستنا الاكليريكية في غزير. مولدهُ في جبتا (لبنان) في آذار من السنة ١٨٤٦ عرفناهُ في باريس سنة ١٨٩٣ اذ كان يخدم مواطنيه في كنيسة الاركسبرج وقد نال ثقة كبار الدولة الفرنسوية وخصوصاً المسيو كليمنصو جارهِ في السكن. سيم رئيساً على اساقفة صور وصيداء في ١٨ شباط ١٩٠٠ ولما فصلت أبرشية صور عن صيداء سنة ١٩٠٦ بقي هو متولياً على أبرشية صيداء ومركزهُ في بيت الدين. وقد اجمع الناس على الثناء على حنانه وكرمه مدة الحرب حيث امر حاشيتهُ بان لا يُردَّ فقير دون حسنة على غير اختلاف بين الطوائف والاديان وقد عرف لهُ الدروز فضلهُ عند وفاتهِ. أصيب السيد بصبوص بداء عضال الزمهُ الفراش سنين طويلة وهو لا يكفّ عن تدبير أبرشيته بكل حرص واهتمام. توفي في ايلول من السنة ١٩١٨ (اطلب المشرق ٨ [١٩٠٥]: ١٥٣)

المطران بولس مسعد هو الخامس من ضحايا هذه الحرب وان كانت وفاتهُ بعد الهدنة بقليل في ٢ نيسان ١٩١٩ في جونية. كان مولدهُ في ٦ ك ٢ ١٨٥٩ في حصرون وهو من ابناء الثلث الرحمات البطريرك بولس مسعد درس في عين ورقة وسيم رئيساً على اساقفة حماة شرفاً في ١٤ ك ١ سنة ١٨٧٩ ثم اقامهُ البطريرك يوحنا الحاج مطراناً على دمشق في ٢ حزيران ١٨٩٢ وكان مقامهُ في عشقوت في بلاط اسقفي اتفق على بنائه المبالغ الطائلة. كان السيد مسعد معروفاً بحسن رأيهِ ولطف طباعه (اطلب المشرق ٧ [١٩٠٤]: ٧٥٥) مثلَ في الحرب لدى المجلس العرفي وزكّى نفسهُ عن التهم الباطلة

المطران ادّي شير ابرهينا هو احد علماء الطائفة الكلدانية.

ولد في شقلاوا من اعمال الموصل في ٣ آذار من السنة ١٨٦٧ ودرس عند الاباء الدومنيكان في مدرستهم الاكليريكية في الموصل . وقد أقيم رئيساً على اساقفة سعرت في ٣٠ ت٢ ١٩٠٢ . قُتل في اواسط آب من السنة ١٩١٥ في مذبحة سعرت قتلهُ علي نقيب الاشراف مع قاضي سعرت بعد أن عرضا عليه الاسلام فأبى وجثا مصلياً ومات بين العذابات بشهامة عظيمة . وتفاصيل استشهاده في كتاب النصارى في نكبة النصارى (ص ٣٨٩) ولهذا الشهيد عدَّة تآليف جليلة منها تاريخ كلدو واثور الذي طُبع منهُ جزءان في مطبعتنا الكاثوليكيَّة . ولهُ في مجلة المشرق عدَّة مقالات حسنة . وقد نشر وصف مخطوطات المكاتب الكلدانيَّة في الموصل وسعرت وماردين وديار بكر ونشر في مجموعة الاباء الشرقيين تاريخاً قديماً لبعض قدماء النساطرة هذا فضلاً عن بعض تآليف كلدانية عُني بنشرها في الموصل

المطران يعقوب اوراهام قُتل في مذبحة الجزيرة في وقت مذبحة سعرت اعني في آب ١٩١٥ أطلق عليه الرصاص وهو يرسم على جبهته اشارة الصليب الكريم . وُلد في تلكيف من اعمال الموصل في ٣ ك ٢ سنة ١٨٤٨ سقَّفهُ البطريرك يوسف اودو على الهند بدون رضى الكرسيّ الرسولي في ١٠ شباط ١٨٧٥ لكنَّهُ ارعوى متيباً بعد ذلك فجُعل اسقفاً على جزيرة بني عُمر سنة ١٨٨٠

المطران توما اودو مات ايضاً ضحية ظلم الاتراك والأعجام في النكبات الاخيرة في آب ١٩١٨ . وقد نشرت اخبار وفاتهِ في مجلَّة الرسالات الكاثوليكية (آب ١٩١٩) . ولد هذا السيد في القوش (قرب الموصل) في ١١ ت ١ سنة ١٨٥٥ . وجُعل رئيس اساقفة اورمية في العجم في ٤ ايار سنة ١٨٩٢ وكان ضليعاً باللُّغة الكلدانيَّة لهُ فيها معجم مطوَّل في جزءين ضخمين في القديمة منها والحديثة طُبع في الموصل . ولهُ مطبوعات اخرى كلدانيَّة عدَّدناها في تاريخ مطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٤٢٨-٤٢٩)

المطران فلابيانوس ميخائيل ملكي حضرنا حديثاً سيامتهُ في بيروت في ١٩ ك ٢ سنة ١٩١٣ على طائفة السريان الكاثوليك في الجزيرة مع السيد الجليل توفيلس جبرائيل تبُّوني للنيابة البطريركيَّة في ماردين . برَّح بهِ الاتراك في مذبحة الجزيرة في ٢٢ آب ١٩١٥ فاحتمل الضرب والاهانات والموت كالحمل

الوديع مع لفيف كهنته (اطلب القصارى في نكبات النصارى ص ٣٨٤ — ٣٨٥)
كان مولده في قلعة مرا قرب ماردين سنة ١٨٦٢ وهو احد المرتدين من اليعقوبية الى الكثلكة المتحمسين في الايمان — وفي هذه الحرب توفي مطران سرياني آخر ارتدّ ايضاً من البدعة اليعقوبية السيد ﴿يوليوس ابرهيم﴾ في السنة ١٩١٢ وثبت على ايمانه حتى موته في ٣ حزيران ١٩١٥ في دمشق.

﴿المطران اوسطاثيوس موسى سركيس﴾ أصيبت بوفاته الطائفة السريانية آخر سنة الحرب في ٢٠ آب ١٩١٨ بعد ان خدمها سنين طويلة خصوصاً كرئيس مدرسة الشرفة ثمّ كنائب بطريركي على القدس ثم ابرشية حمص وحماة والمنبك. وكان تسقيفهُ على رستن في ٢٤ ت ٢ سنة ١٩١٢. ولد في دمشق في اوائل سنة ١٨٤٨ ودرس في مدرستنا الاكليريكية في غزير وعلّم العربية في كليتنا. ومن مآثره تعريبهُ لكتاب التاريخ المقدّس للاب شوستر طُبع في مطبعتنا سنة ١٩١٠

﴿مارونا بطرس طوبال﴾ مات في ايام الحرب وهو طاعن في السنّ. وُلد في آمد (ديار بكر) في ٤ ك ٢ ١٨٢٦ ودرس في الشرفة. وفي ٢٢ آب ١٨٨٨ سُقّف على ميافارقين وجُعل نائباً بطريركياً على ديار بكر فدبّر شؤون ابرشيته بنشاط نحو ثلاثين سنة. توفي في اواخر ايلول ١٩١٥. وفقد السريان أيضاً السيدين ﴿اقليميس يوحنا معمار باشي﴾ و ﴿بولس دانيال﴾ الاول رئيس اساقفة دمشق ثمّ تكريت شرفاً واحد تلامذة مدرستنا في غزير. توفي في ماردين في ٢١ أيار ١٩١٥ وعمره ٨٥ سنة. والثاني رئيس اساقفة دارا شرفاً توفي في اواخر ١٩١٦

﴿المطران اغناطيوس مالويان﴾ هو احد مطارنة الارمن الذي انتخبهُ الحبر الاعظم بيوس العاشر مع ثمانية آخرين بعد اجتماع الطائفي المعقود في رومية العظمى في تشرين من السنة ١٩١١ فرُسموا في ٢٢ ت ١. وقد تعيّن المطران اغناطيوس مالويان الكرسي ماردين فشرّفهُ باعماله الرسولية اوّلاً ثمّ بسفك دمه شهيداً مع ابناء طائفته في ١٠ حزيران ١٩١٥ ولعلّنا نعود الى ذكر ترجمته مفصّلةً ليرى القرّاء انّ روح شهداء النصرانية لم تمت. كان مولد المطران مالويان في ماردين في ١٥ نيسان ١٨٦٦. وفيها ولد ايضاً شهيد آخر وهو السيد ﴿اندراوس چليان مطران ديار بكر﴾ في ١٣ ك ١ ١٨٤٨ ثمّ سُقّف على ديار بكر في ٦ شباط ١٨٩٩. قُتل

مرجوماً بالحجارة كاوّل شهداء الكنيسة القديس اسطفانوس في اواخر نيسان ١٩١٥ ولا ريب انهُ قُتل أساقفة من الارمن غير المذكورين الّا ان اخبارهم لم تزل بعد مجهولة ونظنّ ان من جملتهم احد تلامذة مدرستنا الاكليريكية في غزير السيد كابيد كتشوريان. وكذلك قُتل عدّة اساقفة من الغريغوريين منهم اسقف ديار بكر الذي صُبَّ عليه البترول ثمّ حُرق. ومن اساقفة اليعاقبة والنساطرة في طور عبدين وكردستان

مصف الكهنة

لا يسعنا ان نذكر الّا بعضهم لانقطاع اخبارهم عنّا في مدّة الحرب

المونسنيور يوسف العلم كان احد كهنة الطائفة المارونية المتقدّمين. دخل مدّة في جماعة المرسلين الكريميين ثم أقيم رئيساً على مدرسة الحكمة ونائباً اسقفيًا. ولهُ مآثر كتابية عديدة منها منقولة من اللاتينيّة او الافرنسيّة او الايطاليّة ومنها من تأليفه ككتاب تفسير الرسائل وقداسة الكاهن للمنسنيور غوم ومناجاة يسوع لقلب الكاهن للاب برتلماوس موذتي ورسالة في ترجمة القديس مارون وتأمّلات الورديّة وتعريب اعترافات مار اوغسطين. ولهُ عدّة مقالات وخطب وقصائد نشرها في المشرق ثمّ جمعها في كتاب دعاهُ نفثات القلم على يد العلم. والمرحوم احد تلامذة عين ورقة توفّي في داريّا في تشرين الثاني سنة ١٩١٧

المنسنيور بولس الدبس هو ايضاً تاقّي العلوم في عين ورقة ثمّ خدم زمناً طويلاً مدرسة الحكمة وابرشية بيروت لا سيما في عهد شقيقه الطيب الذكر السيد يوسف الدبس. طُبع لهُ تعريب مرشد المستفحصين للكاهن لويس توني وعرّب البرهانات القاطعة للسيد لاڤال. توفّي في ت ٢ ١٩١٨. وكان المرحوم مشهوراً بتقاه

الخوري لويس الخوري من افاضل كهنة الموارنة واشدّهم غيرة واوسعهم براً. هو من اسرة المشايخ بيت الخوري في لبنان. درس في مدرستنا الكهنوتية في غزير ونبغ في درسه وقد خدم رعيّة طانيوس في رأس بيروت نحو ثلثين سنة بكل نزاهة وتفانٍ وهو الذي سعى هناك ببناء كنيسة مار الياس الجميلة. كانت وفاتهُ في ٦ اذار ١٩١٧. وفي ١٢ أيّار منها توفّي الخوري طوبيا الرامي

الخوري لويس دريان هو ابن عم سيادة المطران يوسف دريان

النائب البطريركي في مصر ولد في بيروت في ١٨ آب ١٨٧٩ ودرس في كلية لوقان حيث نال شهادة الالفة بالفلسفة بعد وضعه كتابة في فلسفة القديس توما. ولما عاد الى الوطن تجرّد في بيروت للوعظ والكتابة وله فيهما آثار حسنة نشر معظمها بالطبع لا سيما في المطبعة التي أنشأها باسم النهضة في المدينة نخصّ منها بالذكر مواعظه الانتقاد تجاه العقل والدين وتعريبه الكتاب تهذيب الارادة لجول ليتر. وكتاب الخوري مورو « من أين جئنا ». ومجلة الرسالة ومجلة المحاسن الروائية مع مقالات أخرى تدلُّ على ثقافة عقله وغزارة علمه. كانت وفاته بداء التيفوس في وطن عائلته عشقوت في ١٨ شباط ١٩١٧. فمات مأسوفاً عليه في كمال شبابه

الخوري يوسف الحاك نزيل مات شهيد محبّته لفرنسة في ٢٢ اذار ١٩١٥ حيث أُعدم شنقاً في دمشق. كان خادم رعية سنّ الفيل في جوار نهر بيروت من لبنان وكان معروفاً بغيرته وتقواه. ضبطت المراقبة التركية رسالة وجّهها اليه السيو ديشانل رئيس مجلس النواب الفرنساوي جواباً على كتاب اعلم فيه الدولة الفرنساوية عن حالة لبنان السيئة بعد مباشرة الحرب وطلب مساعدة فرنسة لفكّ اغلاله

وقد قضى كثيرون ايضاً من الكهنة والرهبان الموارنة غير المذكورين في بيروت ولبنان يطول ذكرهم منهم بعض تلامذة كليتنا كالخوري فضل الله فاضل من بيروت توفّي بالتيفوس سنة ١٩١٧. والخوري دانيال جباره في بيت شباب. والخوري مبارك ابي فرحات من المتين خدم مدّة بكل نشاط كنيسة مار جرجس في بيروت وعلّم في مدرسة الحكمة توفّي في ١٨ ايلول ١٩١٧. والقس اغناطيوس لبّوس من بيت الدين صاحب المجاني الشهيّة من الحدائق الفلسفية توفّي في ٩ ك٢ ١٩١٨. في دير مشموشة (جزّين)

وفي اوائل الحرب خسرت الرهبانيّتان الكاثوليكيّتان المخلّصيّة والحلبيّة رئيسيهما العامّين قدس الارشيمندريت بولس نبعه بداء التيفوس في السنة ١٩١٦ وقدس الايكونوموس يوحنّا خرّام وقد اشتهر كلاهما بروح البرارة وفتحا اديرتهما للمنكوبين فانقذا المئين من الجائعين من مخالب المنيّة

القس اغوسطين مسرّة نزيل رهبانية الحنّاويّة الشويرية ذا تُقىً ونزاهة وشهامة في الدفاع عن الدين خدم قديماً بكل نشاط ادارة جريدتنا البشير. كانت وفاته بالوباء في ٢٩ تموز ١٩١٨

الخوري ميخائل شخود — وبهذا الوباء عينه توفي في حلب النائب الاسقفي الروميّ الكاثوليكيّ ميخائل شخود وكان في الشهباء مثالاً للغيرة والغيرة في خدمة بني طائفته

القسّ يوسف ايُّوب — وفيه ايضاً في اواخر سنة ١٩١٥ ودّع الحياة احد ملافنة مدرستنا الاكليريكية في بيروت القسّ يوسف ايُّوب السريانيّ. لم يخدم بني وطنهِ الّا سنين قليلة لكنهُ ابقى بينهم ذكرًا صالحًا بامثاله وارشاداته وغيرته. كانت وفاتهُ مُصاباً بالعدوى في خدمة المرضى في تشرين الثاني ١٩١٥

القسّ متى ملاّش — احد افاضل كهنة السريان قُتل في ١٥ حزيران ١٩١٥ مع ٨٤ مسيحيًّا ارمنيًا او سريانيًا من اهالي ماردين كان القسّ متّى يسندهم ويشجّعهم في عذابهم ويقوّيهم على حفظ ايمانهم فماتوا شهداء

القس يعقوب فرجو — هذا الكاهن الارمني الباسل استشهد لاجل ايمانهِ مرتين في مذابح الارمن الاولى في اواخر سنة ١٨٩٥ اذ كان خادماً لرعية تلّ ارمن فقتل ابناؤهُ الروحيّون ولم ينجُ هو من الموت الّا بعناية خصوصية من الله ثم في السنة ١٩١٥ في ٣٠ حزيران قُتل بعد اللكم والضرب والشتم. وقد عرض عليهِ دين الاسلام المسمّى شاكر ابن خاج قاسم قبل قتلهِ فاجابهُ ساخرًا: ويحك ما هذا الكلام الذي أسرع في قتلي وألحقني برفقتي فامزج دمي بدمهم فحظي بغايتي (اطلب القصارى ص ٢٣٨ — ٢٤٠). وكان المذكور تلميذ مدرستنا الاكليريكية في غزير وقد عرفناهُ واختبرنا فضائلهُ السامية ومساعيهُ المديدة في خلاص القريب ومحبتهُ الشديدة لرهبانيّتنا. ومعهُ استشهد ١٤ كاهناً ارمنيا

دون خليل مرتا — نضيف الى هؤلاء الكهنة اسم كاهن بارع من اللاتين دون خليل مرتا من ابرشية البطريركية الاورشليمية وُلد في فلسطين وتعلّم في مدرستنا الاكليريكية في غزير ثمّ انقطع الى التدريس في مدرسة القدس الكهنوتية وقد اخذ عنهُ الآداب العربية كثيرون من طلبتها ومن مآثرهِ كتابهُ الخلاصة الجلية في قواعد اللغة العربية في جزئين. وكتاب في تعريف موقع دار بيلاطوس البنطيّ ولهُ في المشرق عدّة مقالات لغوية وتاريخية اجاد فيها. وقد ابقى آثارًا عديدة مخطوطة نتمنى ان لا تذهب ضائعة. توفي سنة ١٩١٧

٢ موتى الحرب من المرسلين

كان المرسلون في تركية اوّل من دهمتهم نكبات الحرب فضربتهم الدولة ضربات اليمة لزعم الاتراك انّهم من الاجانب المعادين لها وانّ املاكهم تخصُّ فرنسة مع كونها أوقاف الكرسيّ الرسوليّ له وحده حقّ التصرُّف بها. فوضعت تركية اليد على تلك الاملاك وتصرّفت بمقتنيات المرسلين تصرُّف السيد بمالهِ واخرجت من اديرتهم جبرًا حتى المنتسبين منهم الى الدولة العثمانية. فلا غرو انّ هذه الاعمال السيئة اودت بحياة الكثيرين منهم. وها نحن نذكر بعض الذين خدموا الاهلين في هذه الاوطان شكرًا لفضلهم

الاب فرنسيس ماريًا فرّا هو سليل الرهبانيّة الفرنسيسية وحلبيُّ الاصل. اشتهر بخدمة الرعايا والآداب وقد عيّنهُ الكرسيّ الرسوليّ من جملة الزوّار للرهبانيّات المارونية مع الاب غلّان الدومنيكيّ. وقد نشر في المطبعة الفرنسيسيّة في القدس الشريف عدّة تآليف منها الروضة الروحيّة للعيال المسيحيّة ورياضة لاكرام القديس انطونيوس البادوي وتعريب الاقتداء بالمسيح. توفّي في حريصا بعد مرض طويل تحمّل اوجاعهُ بكل صبر وتسليم لارادة تعالى في ٢٣ ايار ١٩١٧. وفي تلك السنة توفّي في بيروت الاب دومنيك فرسون البلجكيّ رئيس دير رهبانيّتهِ الفرنسيسية في الثغر في ١٧ ك١ ١٩١٧ وكان قدوةً لاخوته بممارسة كل الفضائل الرهبانية

الاب ليونرد الكبوشيّ هو من اهل لبنان من بعبدات أُرسل الى ماردين فتولّى فيها الاعمال الرسولية منذ بضع سنين وكان هناك رئيساً على ديرهم. فلمّا انتهك الاتراك حماهُ ساقوا الرئيس الى السجن واتّهموهُ تهماً باطلة مضحكة واذاقوهُ الموت الوانًا بجانب اظفارهِ وتعليقهِ منكوساً وضربهِ بالسياط وهم يهزأون بهِ قائلين: «ادعُ فرنسة لتستعجل في انقاذك من يدنا» وهو صامت يحتمل كلّ ذلك بوداعة الحمل. ثمّ ساقوهُ الى منقع الدم فمات شهيدًا (القصارى ١٦٩—١٧٠) — وقد فقد الآباء الكبوشيّون احد رهبانهم في بيروت الاب اوسابيو في ١٤ حزيران ١٩١٦ كان رئيساً على ديرهم في غزير مدّة سنين عديدة فلمّا ضبط الاتراك هذا الدير انتقل الى بيروت ومات فيها شيخاً

وقد فقدت رسالتنا في سورية ومصر والاناضول عدداً عديداً من مرسليها نذكر اولًا الوطنيين منهم :

الاب جبرائيل اده من أسرة فاضلة شهيرة مات كالجندي الباسل وهو يشتغل في كرم انزب وذلك في اوّل اسبوع الحرب في ٨ آب سنة ١٩١٤ وعمرهُ ٦٦ سنة قضى قسمها الكبير في الرهبانيّة اليسوعية التي انضوى اليها سنة ١٨٦٦ فقام بما عُهد اليهِ من المهمّات بكل اجتهاد لا سيما كرئيس في كليّتنا البيروتية وفي مدرسة العائلة المقدسة في القاهرة وفي آخر عمرهِ في دير حلب. وكان لهُ طول الباع في التعليم والوعظ والارشاد وتدبير الامور. ومن مآثرهِ كتاب القواعد الجليّة في علم العربية في جزئين وعدة روايات تمثيلية

الاب منصور البستاني مات شهيد محبّتهِ في خدمة الموبوئين في حلب في ١٤ ك٢ سنة ١٩١٦. كان مولدهُ في دير القمر في ١٢ آب ١٨٦٣ ودخل الرهبانيّة اليسوعيّة في ٢ ت١ سنة ١٨٧٩. كان مرسلًا غيوراً ذا عارضة وبلاغة يتفانى في خلاص النفوس. أدى لراطنيهِ خدماً روحيّة عديدة في غزير وبكفيا وزحلة وحلب. أقيمت لهُ جنازة حافلة في كاتدرائية الموارنة في الشهباء

الاب يوسف حوّاء اصل عائلته من حلب ومولدهُ في مرسيلية في ٢٠ شباط ١٨٥١ تقلب قبل دخولهِ في الرهبانيّة في عدّة وظائف في لندرة. ثم ترهّب في الرهبانيّة اليسوعية في ١٤ ك١ سنة ١٨٨٢ في انكلترّة وكان احد عملة رسالتنا السوريّة الشيطين اذ في كلّ انحائها مآثر مشكورة كمدير اخويات ومرشد رياضات وناظر مدارس. وقد كتب الرسائل المطوّلة في وصف ما قام بهِ من الاعمال الرسولية. وكان يعرف عدّة لغات ولا سيما الانكليزية وقد ألّف فيها كتابهُ الفرائد الدريّة في العربيّة والانكليزيّة. مات في عين ابل في ١٦ ك١ ١٩١٦ وكان عارفاً باصول الطبّ عالج كثيرين في الاوبئة الفاشية

الاب بطرس اغاجانيان كان ارمنيا درس مدّة في مدرستنا الاكليريكية في بيروت وترهّب في الرهبانيّة اليسوعية في ١٣ شباط ١٩٠٤ وما كاد يتمّ دروسهُ بعد رسامتهِ كاهناً حتى عاد الى وطنهِ فانتشبت الحرب وقبض عليهِ الاتراك فنفوهُ الى جبات دير الزور واحلّوا بهِ نقمتهم ثمّ قتلوهُ مع غيرهِ من الارمن

قريباً من الفرات في احد شهور سنة ١٩١٦ وفيها قتلوا قبلهُ احد اخوتنا المساعدين الرهبان الارمن المسمَّى ﴿ يوحنَّا باليان ﴾ في آطنه

﴿ الاب استانسلاوس شيخو ﴾ ودَّع الحياة وقد رأى لوائح الهدنة والسلام في يوم تذكار الموتى في ٢ ت ٢ سنة ١٩١٨ بعد رجوعه من منفاه في الجبل بخمسة عشر يوماً. والفقيد احد عملة رسالتنا السوريَّة ذوي الهمّة والصلاح. وُلد في ماردين في ١١ ك ٢ سنة ١٨٣٦ ودرس في مدرستنا في غزير ثمَّ انضمَّ الى الرهبانية اليسوعية فخدم النفوس نيّفاً وستّين سنة بغيرة لم تعرف المَلَل في الرسالات العديدة في كلّ انحاء سوريَّة وفلسطين ومصر وبإنشاء الاعمال التقويَّة والخيريَّة كنيس ومرؤوس في اديرتنا المختلفة. ومع ما اصيب به من داء المفاصل في اواخر عمره لم ينكفّ عن العمل حتى بضع ساعات قبل وفاته

نضيف الى هؤلاء المذكورين بعض اخوتنا الشرقيين الذين خدموا الله واخوتهم بالبرارة والاتضاع وعرف فضلهم كثيرون: الاخ جبرائيل فرَّايه توفّي في حلب في ٢٠ حزيران ١٩١٦. وفيها ايضاً توفّي الاخ انطون كنعان في ٢٥ ايلول ١٩١٨ بعد عودته عليلاً من انقرة حيث نفتهُ الحكومة ظلماً. عاش زمناً طويلاً في بيروت وزحلة وحمص كان مولدهُ سنة ١٨٥٦ والاخ الياس شدياق المتوفى في عريمة قريباً من عرمون في ١٨ آب ١٩١٨. والاخ يوسف عزاري الارديني المتوفى بعد ترهُّبهِ بقليل في انكلترَّة في ١٣ ايلول ١٩١٧

وقد فقدت رسالتنا السوريَّة مرسلين آخرين من الفرنسويين وغيرهم استحقوا شكر مواطنيهم بخدمهم النصوحة لهذه البلاد نذكر البعض منهم

﴿ الاب ادوار سلزاني ﴾ توفّي في غزير في غرَّة شباط سنة ١٩١٦ منفيًّا عن ديرنا. خدم الرسالة السوريَّة سنين عديدة. كان مولدهُ في ١٩ ك ٢ سنة ١٨٣٩. ومن آثارهِ التقويَّة تعريبهُ لكتاب الطوبوي غرينيون دي مونفور المعنون بالعبادة الحقيقية نحو مريم العذراء. ولكتاب القديس الفونس دي ليغوري الطريق المستقيم في حبّ يسوع القويم. ولهُ تساعية لاكرام العذراء المعروفة بسيّدة التعزية

﴿ الاب ارسانيوس برّل ﴾ كانت وفاتهُ في ٩ شباط ١٩١٦ في غزير. مولدهُ في فرنسة في ٢٥ ك ١ ١٨٣٥. خصَّ نفسهُ برسالة سوريَّة منذ ٦٠

سنة . فخدمها بعدّة مهمّات لا سيما كمدير الدروس في كليّتنا وكرئيس في عدّة اديرة وخاصّةً في دمشق وهو الذي انشأ رسالة حوران فانه بسببها من قبل الحكومة وبعض الذوات مشاقّ عديدة الى ان اضطرّوهُ الى اقفالها

الاب ريبي نورمان ... وفي السنة بينها في ٢٥ ت ٢ سنة ١٩١٦ توفّي في الاسكندريّة الاب ريبي نورمان احد افاضل رسالتنا السوريّة . كان مولدهُ في فرنسة في ٢٨ ت ٢ سنة ١٨٣٢ . اتى الى سوريا بعد حوادث الستين بقليل فكان ركناً لمشروعاتها بعد ان اتقن اللغة العربيّة . ومن أفضاله نحو الوطن انشاؤهُ مع مساعدة الدولة الفرنسويّة لمكتبه الطبي سنة ١٨٨٢ . ولهُ ايضاً الفضل في انشاء رسالتنا في ارمينية سعى في اميركة الجنوبيّة بجمع الحسنات الكافية لفتح اديرتنا فيها . وقد ترأس ست سنين على رسالتنا السوريّة

الاب فردريك بوفيه ... مولدهُ في فرنسة في ٢٥ ك ٢ ١٨٧١ . قُتل في الحرب الاخيرة وهو ناظم في سلك الجيش بشهامة غريبة في ١٨ ايلول ١٩١٦ . علّم الآداب والبيان في كليّتنا وكتب الكتابات المستحلة في الفلسفة واللاهوت والتاريخ . ومن آثاره الطيبة تاريخ البديع السوريّة منذ عهد الميلاد الى يومنا (طُبع على الحجر) . ولهُ تاريخ سورية في عهد بني طولون

الاب دونا ڤرنيه ... توفي في بيروت في مستشفى الراهبات الالمانيات في ٤ ايار ١٩١٧ وعمرهُ ثلاثون سنة . ورد الى بلاد الشام في سنة ١٨٦٠ وتقلّب في اديرة رسالتنا منكبّاً على الاعمال التقويّة وله عدّة تآليف منها عراطيق مطوّل للغة العربية في الفرنسويّة في مجلّدين . وقد عرب كتاب الاقتداء بالمسيح . وطبع له كتاب سيرة الطوباويّة جان دارك . وله مخطوطات أخرى لم تُنشر بالطبع

الاب هيوليت مرسيليه ... دار زمناً طويلاً المكتب الطبي الفرنسوي في بيروت فيذكرهُ بالخير من تخرّجوا فيه على يديه . توفي في ١٧ ايلول من السنة ١٩١٧ في القاهرة وعمرهُ ٧٦ سنة

الاب شارل فلوري ... وفي ٢٠ ايار ١٩١٧ توفّي في لَنْدُن من اعمال ايطالية الاب شرل فلوري معلّم اللاهوت الادبي في كليّتنا بعد ان تولّى مدّة ادارة دروسها له آثار حسنة في علم اللاهوت . كان مولدهُ في فرنسة في ٨ ك ٢ سنة ١٨٦٢

﴿ الاب لويس رتوڤال ﴾ كانت وفاتهُ في رومية في ٢ نيسان ١٩١٨. وُلد في ادرنة في ٢٦ آب ١٨٧١ ودرس في كليّتنا. وكان ضليعاً بعدّة لغات يتكلّم بسبع منها بكل طلاقة لسان. علّم زمناً طويلاً في كنيّتنا وفي مكتبنا الشرقيّ حتى دُعي الى رومية في ايّام الحرب فعلّم في المكتب البابوي الذي انشأهُ الحبر الاعظم بيوس العاشر وقد اسف على وفاته هناك جميع من عرفهُ وحضر جنازتهُ نخبة من الذوات من كرادلة واساقفة وعلماء. لهُ عدّة مآثر في مجلة المشرق وفي مجلة الاسيويّة الباريسية وفي مجموعة مكتبنا الشرقيّ التي عُهدت اليهِ ادارتها. وكان متفنناً بالعلوم عارفاً باصول الموسيقى الغربية والشرقية

وقد فقدت رسالتنا غير هؤلاء ممّن سكنوا مدّة بيننا فذكرهم معارفهم بالخير منهم الاباء ﴿ ثرنيهر ﴾ من باڤارية. علّم سنين طويلة في مدرسة غزير وكلية بيروت اللاتينيّة واليونانيّة والالمانيّة. توفّي في غزير في ١٠ ت ٢ ١٩١٨. والاب ﴿ يوحنا باز ﴾ مات في المستشفى الالماني في بيروت في ٢٨ ك ٢ ١٩١٨. والاب ﴿ لويس كورديه ﴾ كان مديراً لكليتنا توفّي في مرسيليا في ٤ حزيران ١٩١٨. والايوان ﴿ لوسيان غاران ويوسف غاي ﴾ توفّي الاول في ت ١ ١٩١٥ والثاني في ١ ايلول منها. والاب ﴿ الكسيس يونغي ﴾ الذي كان رئيساً على دير حمص في اول الحرب فنُفي الى اورفة ثم تُوفّي في فرنسة بمدينة دول في ١١ كانون اول سنة ١٩١٧ و ﴿ رافائيل دنّيتو ﴾ الايطالي الجنس كان من افاضل المرسلين وأشدّهم تُقىً وغيرةً توفّي في بيروت في ٣ تموز ١٩١٩. والاب ﴿ الكسيس دي ڤلتُوف ﴾ درّس الرياضيّات في مدرسة غزير. ولد في مرسيليا في ٨ ايّار ١٨٣٦ وتوفّي في الاسكندرية في ٤ ك ٢ سنة ١٩١٧. والايوان ﴿ شرل ڤادو والفونس فولّيان ﴾ علّما الخطابة في كليّتنا. توفّي الاوّل في غزير في تشرين الاوّل ١٩١٤ والثاني في فرنسة في ٢٨ ك ٢ سنة ١٩١٦. والاب ﴿ بطرس مازُويه ﴾ سكن مدّةً في بيروت يخدم النفوس ثم صار وكيلاً للرسالة في باريس. اشتهر بقداسة حياتهِ. توفّي في ٢٢ ك ٢ سنة ١٩١٨. والاب ﴿ فرنسوا جوليان ﴾ درّس الآثار القديمة في مكتبنا الشرقي توفّي في ١٨ ك ٢ ١٩١٩. والاب ﴿ البرّ اندره ﴾ كان رئيساً على مدرستنا في القاهرة ثم صار رئيساً عاماً على رسالة ارمينية. توفّي في فرنسة في ٣ آب سنة ١٩١٩. والاب

﴿ جول فيفر ﴾ توفي في الاسكندرية في ١٤ شباط ١٩١٩. لهُ آثار حسنة في عاديات مصر وفي تاريخ الاسكندرية خصوصاً. والاب ﴿ يوسف بَرْتولو ﴾ درس في بيروت وخدم رسالة ارمينية ولهُ في اللغة الارمنية بعض التآليف توفي سنة ١٩١٦

وقد سقط في الحرب عدة آباء وشمامسة خدموا كليتنا البيروتية كاساتذة او كناظرين على التلاميذ كالاب ﴿ فرنسيس رُوارون ﴾ قُتل في ٢٢ ايلول ١٩١٥ والاب ﴿ فرنك دي كونتانيه ﴾ قُتل في الدردنيل في ٩ حزيران ١٩١٥ وهو يخدم الجرحى. والاب ﴿ جول همبرت ﴾ كان من اوّل قتلى الحرب في ١٢ ت ١ سنة ١٩١٤. والاب ﴿ يوسف كَنكوا ﴾ درّس في مكتبنا الشرقي وسقط في ساحة الوغى في ٢٩ آذار ١٩١٦ وسقط مثلهُ الابوان ﴿ بطرس فرّان ﴾ في ٢٢ حزيران ١٩١٦ و ﴿ بطرس غم ﴾ في ٥ ت ٢ ١٩١٦. وقد مرّ في عدد سابق ذكر الاب لويس لثوار قُتل سنة ١٩١٧. والابوان الارلنديان ﴿ ميشال برغين واوغست هرتفان ﴾ قُتل الاول في خدمة الجيش الانكليزي في بلجيكة في ١١ ت ١ ١٩١٧ وكان مرسلاً نشيطاً في دمشق وحوران بعد تعليمهِ في الكلية. وقُتل الثاني في حملة الانكليز على بغداد. كان درس في كليتنا الآداب الشرقية ونال فيها شهادة الملفنة. ومات ايضاً في هذه الحرب من اثار جراحهِ الاخ الشمّاس ﴿ فرنسوا كوتل ﴾ مدير مطبعتنا الكاثوليكية في ٦ أيار ١٩١٥. وكلّ هؤلاء اشتهروا ببسالتهم ونالوا الاوسمة الشرفية من قوّادهم الذين اثنوا عليهم علانيةً

ونضيف الى هؤلاء اربعة من اخوتنا الشمامسة ماتوا في ابّان الحرب بعد خدمتهم لرسالتنا وهم الاخ ﴿ سلستان فيوري ﴾ الايطالي تُوفي في غزير في ت ١ سنة ١٩١٥. والاخ ﴿ تيودور زوبفل ﴾ المهندس لكنيسة السيدة في عكّار ولبعض ابنية المدرسة الطبية توفي في ليون في ٨ حزيران ١٩١٧. والاخوان ﴿ اتيان فوره ﴾ و ﴿ بطرس شميت ﴾ توفي الاوّل في غزير في شهر أيار ١٩١٥ والثاني في بكفيا في ٣١ تشرين ١٩١٥

ونرجئ لعدد اخر ذكر بعض الادباء وافاضل العلمانيين من اهل الوطن العزيز رحم الله الجميع (لهُ بقيّة)

الحقوق البدويّة في شرقي الاردنّ

بقلم حضرة المؤرخ بولس سلمان الروم الملكي الكاثوليكيّ

توطئة *

قبل ان نبحث عن النظام البدوي نقول : فُطر الاعرابي على حبّ العزّ والفخار فتصبو نفسهُ الى المكارم وشريف الاعمال . ولا يُخلد الى الذلّ والصغار مهما تجلّت له وجوه المصاعب والأقدار . وهو لا يطمح الى المعالي الّا لينال صيتاً بعيداً وشهرة واسعة بين اقرانهِ وفي عشيرتهِ . وقد قضينا بين ظهرانيهم حيناً طويلاً تمهّدنا بجلي البيان كيف يغار البدوي على شرفه ويؤثر المنون على العار والهوان . فهو الفخر يدفعهُ الى سامي الفضائل الطبيعية وهي عزّة النفس تنهض بهِ الى الانتقام او طلب الحق امام القاضي البدوي . وكم من مرّة ثارَ ثائرهُ لادنى امرٍ حطّ بقدره وخفض من حاله . سَلُوا ابطال البيداء عن الحرب وغوائلها فهي المثالب والقوارص التي اوقدت نيرانها واسعرت وطيسها . وبسببها تنازل رجالها وتصادم فرسانها وجُرّدت السيوف وسالت النفوس على حدّ الظُبات وفقاً لما قال الشاعر :

ارى تحت الرماد وميضَ نارٍ فيُوشك ان يكون لهُ ضِرَامُ
فانَّ النار بالعُودَيْن تُذكى وانَّ الحرب اوَّلها الكلامُ

وكم من شيخ يملك ثروة طائلة نزعت نفسهُ الى الشرف فأفنى مالهُ لاكرام الضيوف واصبح بعد طول الدهر فقيراً لا يُصيب الّا غُنَيْمات قليلة لا تكاد تكفيهِ مؤونة لحياتهِ . واذا دنت وفاتهُ جمع اولادهُ واورثهم هذه الكلمات الاخيرة : يا بَنيَّ الاعزّاء أفدوا نفوسكم واموالكم لضيوفكم تكسبوا الاكرام والاجلال . ثم يموت متبسّماً مسروراً ويا حبّذا ما يُذكر عنهم من العفو والصفح فيكون الواحد منهم تهيأ لقتل خصمهِ اذ تتجلى له عواطف الرحمة والشرف فيصفح عن عدوه وهو يقول :

وأحلمُ عن خلِّي واعلمُ أنَّهُ متى أُجزهِ حِلماً على الجهل يَندمِ

ولذلك حدّثني يوماً عبد المهدي قاضي العوازم قال : « نحن الاعراب نسعى دائماً

---

* اننا ننشر هذه الحقوق البدويّة لا نقصد غير وصف عادات البادية دون الحكم بصوابها او فسادها (المشرق)

في سائر احوالنا وراء الشرف نحيا ونموت لاجل المجد والعزّ . ولا نطلب حق الشتيمة والوجه والطيب والقصير والبيت والدم الّا لنستردّ ما فقدناه من الشرف لان اكثر حقوقنا تنشأ عن الشرف المفقود »

*

ولذلك نستطيع ان نحدّد الحقوق البدويّة بالكلام الآتي: « هي قوانين تقليدية محفوظة في البادية مرسومة لتأديب المجرمين وتهذيب الاعراب يعرفها ارباب القضاء ويجرون عليها وبها يعوّضون لصاحب الحقّ او لاهله ما فقدوه من الشرف او المال او الحياة » فهذا التحديد ينطلق على سائر الحقوق البدوية . ولقد يستخدم الاعراب كلمة حقّ بمعنى عقوبة ونحن سنستعملها بهذا المعنى في بعض الاحيان جرياً على كلام العرب

ومما هو حريّ بالاعتبار ان نظام الاعراب يناسبهم خير المناسبة وينطبق على طبائعهم حق المطابقة . وهم لا يميلون الى غيره الّا مضطرّين شأن الامم الصاغرة . وكثيراً ما سمعنا من افواههم : « ان قانون القفر خيرٌ من قانون الدُّوَل المتمدّنة » . وسألناهم عن السبب في ذلك فأجابوا بصائب الكلام قائلين: ان القانون البدوي يدركهُ الصغير والكبير دون إتعاب فكر تتناقلهُ القبيلة او العشيرة من دهر بعيد فاصبح راسخاً في اذهانهم لا يغيب عن خلَدهم ومحفوظهم . وليس فيه من التميزات الصعبة والمشكلات المعضلة ما يُقلق ارباب المحاكم المتمدّنة بل هو بسيط لانحصاره في شؤون الأعراب وامورهم القليلة . ولذلك يُحيط بهِ كل امرئ من ارباب العقول الضعيفة وغيرهم الى ما فوق . فان الراعي الحقير والحارس المسكين والتاجر والفارس والغني والامير يُدركون الدعوى ومجراها وما تحتاج اليه من الكلام في افتتاح الدعوى والاحتجاج لنيل الحقّ . ومن صفاته الحميدة ايضاً انه سريع المعاملة والتنفيذ لا تبطئ اجراءاته ولا يطول عليه الزمان ولا تؤجل دعاويه الى امد مديد بل تتمّ بجلسة او بجلستين كما يقولون »

ولا يعترضنّ معترض قائلاً : هذا الحكم السريع من ابواب النقائص لانه يدلّ على طيش وعدم تروّ في الدعاوي الكبرى التي تقتضي وقتاً طويلاً وبحثاً وافياً ونقداً دقيقاً . اجل ان الدعاوي الكبرى ذات الاهمية العظمى ينظرون فيها حيناً غير قصير

ويُسبرون غورها ويقلبونها من كل ابوابها فيمعنون في الفحص ويتعمّقون في البحث عنها ثم يحكمون فيها بعد مشاورة اهل الفطنة والدراية غير ان الامور الطفيفة يحكمون فيها بوقت قصير لما جُبلوا عليه من سرعة الخاطر وتوقد الذهن وخبرتهم بمثل هذه الاحوال الجارية في مضاربهم . فضلاً عن ان قانون العرب يريح صاحب الحق من دفع الاموال الباهظة التي تزداد كل يوم في المحاكم وتُفقر العباد وتصدّهم عن طلب الحق . سألت يوماً بدوياً : من تحب بين القضاة أقاضي العرب ام حاكم الدولة . قال : قاضي البدو أخيّر (١ من قاضي الدولة . ثم نظر يميناً وشمالاً وخشي من عين خفية تراقبهُ او اذن سرّية تسمعهُ فقال : « وارباب الدولة زين » (٢ فضحكنا طويلاً على كلامه هذا . وذكر لنا ان له في المحكمة دعوى طال عهدها ولم تتمّ معاملاتها الا بالاموال الوافرة التي تسمى مصاريفات وقال : ان القاضي البدوي يرأف بالفقراء ولا يأخذ رزقهُ من الضعفاء .

ولقد تختلف القوانين الاعرابية اختلافاً عرضياً من عشيرة الى عشيرة او من قبيلة الى قبيلة وذلك يتأتى من امر طبيعي . فلقد ظهر لارباب التفتيش عن عادات الامم البدوية ان القانون يكثر اختلافاً كلّما اقتربت العشيرة من المدن العامرة الآهلة بالسكان التي يسود فيها القانون النظامي المسطّر . وكلّما توحّد قانونهم كان السبب في ذلك ابتعادهم عن المواطن التابعة لنظام مدوّن . فان القانون الجاري عليه عرب بني صخر والشرارات هو واحد لتنائيهم عن المدن ونزولهم في البراري والقفار . على ان عرب المجالي القاطنين بالقرب من مدينة الكرك والعدوان والبلقاويين الساكنين بالقرب من السلط زادوا على قانونهم بعض الزيادات اخذاً عن النظام الدولي . فلا ريب ان المخالطة والمداخلة المتواصلة بين الحكام تفتح اذهانهم الى امور عديدة لم يكونوا ليعهدوها من ذي قبل . فاذلك اتسعت قوانين البادية كدخول موادّ مختلفة تختصّ بالايجار والبيع والشراء وغيرها مما لم يكن العرب ليعهدوها من قبل . فضلاً عن ان القضاة المتوقدي الادراك قد أدخلوا بعض السنن العرضية المناسبة للاعراب . على

١) أخيّر كلمة يستخدمها العرب في مقام التفضيل بمعنى خير مثلاً : فلان اخيّر من فلان اي خير منه ٢) زين هي كلمة يتداولونها في مقام الاستحسان بمعنى حسناً وبمعنى مليح ومحبوب ولطيف

ان القانون فيما يختص بجوهره هو وحيد في كل المضارب . ونحن حينما نتكلم عن العرب لا نعني بهم الّا الراتعين في شرقي الاردن الذين ذكرنا اسماء شيوخهم في مقالتنا عن الشعر العربي . وسترسم خارطة عمومية عن العرب وتبين مواقعهم واسماء اراضيهم في محاضرتنا عن القبائل العربية في شرقي الاردن

ومن انعم النظر في الأنظمة البدوية وجدها تامة في بابها تصلح لكل ما يطرأ على الاعرابي من الحالات في باديته وفي سائر اطوار حياته . هناك يجد المطالع عقوبات خاصة للجرائم الكبرى والهفوات الصغرى . فلا مراء ان قانوناً كهذا لم يُنظَم دفعةً واحدة بل تعاقبت عليه الازمان وتوالت عليه الأيام وقام في اثناء ذلك نفر من القضاة البارعين والرجال المبرّزين ألّفوا عنهُ الشوائب واصلحوا القوانين الماضية . وكانوا هكذا الحين بعد الحين يُلغون او يزيدون ما يرونهُ مناسباً ومطابقاً لاذواقهم وربوعهم الى ان استتبَّت له المزيّة الحسنى ووقف على حدوده الحاضرة . ومن باب المشكلات ان الاعراب الحاليين يجهلون اصلهم وواضع شرائعهم الحالية . فلا يعرفون الّا بعض الوقائع والمعارك فحفظوا اسماء ابطالها وخلطوا كثيراً من تفاصيلها بما اضافوه اليها من الزخرفة والامور الوهمية التي لم تنشأ الّا في مخيّلتهم . واذا سألناهم عن اصل نظامهم وعن واضعيه المشهورين اجابونا بهذه الكلمات الجامدة : « لا ندري ولا نعلم الله يعلم »

١ الانتظام في البادية والصفح

لمّا اشتبكت الحرب بين عرب الشرارات وعرب الحُوَيطات في ربيع سنة ١٨٨٤ وقصرت الاعنّة واشتجرت الاسنّة وتداعت الاصوات وتجاوبت الاصداء نال الظفر امير الحويطات عرار بن جازي . ولمّا انتصف النهار واتّقدت هواجرهُ واستعرت معامعهُ وكادت النفوس تهلك من شدّة العطش امر كلّ قائد فرسانهُ بالنزول عن الخيل . فانحدروا وجلسوا على مهاد الراحة وبينما الرجال صامتون من شدّة النصَب اذا برجل حُوَيطي ابتعد عن معسكره كي يسرق ناقةً من اعدائهُ فتقدّم نحو بطل شراري وقال : أعطني هذه الذلول والّا طُعنتَ أنت والشلاء . فقال لهُ الشراري : يا اخا العرب دَعْني من شرّك وجنّب من حتفك . قال الحويطي : عليَّ الطلاق من شاربي ومن

مالي وعيالي لاسفكنّ دمك ايها اللعين ابيتَ او رضيت . وما كاد ينطق بهذه الكلمات المهينة حتى رماه الشراري برصاصة في صدره افنت حياتهُ

وكان الحُوَيطي ولد صغير يبلغ من العمر سبع سنوات . وكانت أمهُ كلما ترعرع وتقدّم في مدارج الحياة تقول له : يا بُني مهجة كبدي دم ابيك يصرخ ويطلب الثأر . فيقول لها : والله ان جمعتني أرضٌ به لاهدرنّ دم الشراري متُّ او حييتُ

ومضت خمس وعشرون سنة وهو يسعى وراء القاتل ولم يجده . وفيما هو يوماً في بيت سطام بن فايز من بني صخر واذا بشيخ جالس على فراش ناعم شيخ مهيب قد كاد يطوي مراحل العمر ويقف على شفير القبر فسأل عنه وعرف انه قاتل ابيه فانتضى سيفهُ وضربهُ ضربةً شقّت رأسهُ شطرين وهرب

فمن هذه الحادثة يظهر جلياً ان الانتقام يُعدّ عند العرب من النواميس الشريفة يقيمون له منزلة رفيعة ويقرّبونهُ من الفرائض الضرورية المقدسة التي لا يسعهم التجنب عنها ولو طال عهدها . فان الضغينة تبقى مستورة في صدورهم كالنار تحت الرماد فيأتي الريح ويكشف الرماد وتظهر الاحقاد بالانتقام

ولو ادرنا النظر الى البلاد المتمدنة والدول المنظّمة رأيناها تقوم بردّ الحق بواسطة حكّامها وتستخدم اذلك الوسائط الفعّالة كالجنود والسجون والتخويفات والتهديدات الى غير ذلك فتحكم على الجاني وتقضي عليه القضاء العادل . على ان الاعراب كثيراً ما يرفضون حكم قاضيهم ليروّوا ظماءهم بدم الاعادي ويثأروا بالقتيل وينالوا طائلتهم بيدهم . وكم من رجل جمع اولاده على سرير الموت واوصاهم أن يأخذوا الثأر من احد أعدائه

وذكروا لنا حكاية اعرابي وضع يده في يد ولده ونظرهُ الى صدره ونظر اليه نظرة الحزن والحنو وقال له : يابني اموت وفي قلبي الحسرة والكآبة على ما مضى لاني لم اقدر ان آخذ ثأري بيدي من فلان قاتل جدّك والبي . ثم سلّمهُ البندقية والسيف والمدّس وعانقهُ وقبّلهُ قبلة الوداع وهو يقول : تذكّر ما اوصيتك به . ومات على تلك الحالة

وكثيراً ما رفع المُدنف يده على رأس اولاده واستحلفهم بالحبّ الوالدي ان لا يدعوا الدم يصرخ الى السماء صراخاً اليماً . ولقد يوجد اعتقاد في البادية بعضُ من انواع

الخرافات الجارية. فانهم يعتقدون ان دم المقتول يصرخ دائماً في الليالي الدامسة ويطلب من اقاربه او اولاده او من عشيرته ان ينتقموا له من عدوه وقاتله. ولقد ذكروا لنا احاديث عديدة عن هذا الصراخ. ولهذا فان الاعراب بعد موت القتيل ودفنه يضعون على قبره جثوة كبيرة من الحجارة يسمونها رجوماً فيقولون: ان دم القتيل يصرخ في الظلماء الى ان يُهدر دم عدوه. ولذلك يعتبرون من الواجب عليهم ان يأخذوا الثأر. وقبل الانتقام يذبحون ذبائح على تلك الرجوم مترحمين المدفون بان يُميطَ عنهم الاذى ويدفع عنهم الاضرار والنكبات

ولربَّ قائل يقول: الى متى تدوم عواطف الانتقام في نفوس الاعراب؟ فنجيب ان الطوائل والوَتَرات تدوم مدى العمر ولا تُمحى من صدورهم الا حينما ينتقمون ويروون غليلهم. واما الذين يدفعهم عشيرهم على اخذ الثأر فهم أولاد القاتل او المهان واقرباؤه لا بل عشيرته كلها كما قال بدوي شرازي: كل عشيرة تشاطر افرادها الفرح والترح. غير ان بعضاً من الابطال وارباب المآثر الشهيرة في الحروب يركنون الى بسالتهم وشجاعتهم ولا يرضون بان تذهب عشيرتهم طلقاً فيرفعون راية بيضاء على رمح يدعونها راية الثأر ويطوفون حول المحلة وهم يهتفون: هذه راية فلان شيخنا وبطلنا (وبهذا الكلام يشيرون الى قاتلهم) فنحن فقط نقوم بواجب الانتقام. فتسكت الحركات ويهدأ الروع في المضارب لان هؤلاء قد تعاهدوا على الانتقام

وتراهم ينتظرون بصبر عجيب الفرصة الموافقة لنيل امانيهم. ويقدمون على هذا الامر الشنيع بنفس هادئة وسرور عظيم. واذا اتتهم رغبتهم لا احد يُعارَض من عشيرتهم لان الغضبَ يحلّ على هؤلاء الرجال الذين القوا على عاتقهم نتائج اعمالهم فهم دون غيرهم يُطالَبون بما جنَت يدهم من المآثم والجرائم. وهم ايضاً يدافعون عن انفسهم. واما الذين تصيبهم سهام الانتقام فهم اولاد القاتل واقرباؤه الى الدرجة الخامسة كما سنبيّنه في محله

فاذا هُدر الدم في البادية يضطربُ الاعراب كلهم وتستعر النفوس غضباً ورجزاً حتى تأخذ الثأر وفقاً لهذا المبدأ الجاري مجرى السنّة: العين بالعين والسنّ بالسنّ والدم بالدم. واذا انتقم واخذ حقهُ من عدوه فلا احد يطالبه بشيء بل يقرظونهُ لانهُ قام بواجب مقدّس

يحكى ان بلقاوياً قتل عدواً له من عرب العجارمة كان يترصده منذ زمان طويل لانه قتل اخاه واتى ذاك البلقاوي عجرمياً فصافحه وعانقه وقال له : هنيئاً لك لانك قتلت عدوك بخديعة لم يسبقك اليها احد. فمن هذه الحكاية يظهر ان صاحب الانتقام لا يُطالب اذا اخذ حقه من عدوه

بيد ان ارباب الحق الذين يعجزون عن الاخذ بالثأر لقلتهم او لضعفهم او لبسالة عدوهم يلتجئون الى امير كبير من عشيرة اخرى يُعرف بجرأة صدره ورباطة جأشه وثبات جنانه فهو ينتقم لهم من عدوهم ويطالب القاتل ويلزمه بالقيام بحق الدم

ومن تأمل في عادة الانتقام حكم انها بربرية لا يُقدم عليها الّا الامم المتوحشة. اجل ان ذلك لمن الصحة على جانب كبير غير انهُ لولا وجود هذه السنّة في البادية لعدت القفار الاعرابية دارَ حرب وساحة قتال لان المجرمين لا يهابون قتل النفوس البريئة اذ لا رادع يردعهم ولا سيف يمنعهم فان السنّة الدم بالدم تصدُّ الاشرار عن جرائم كبرى. ولذلك يندر القتل في البادية. وخوفاً من العقاب لا يهدر البدوي دم المسافرين بل يسلبهم ثيابهم واموالهم. ثم ان العرب يرحلون على ظهور نياقهم طلباً للرزق من الفزوات البعيدة على انهم يتجنّبون القتل لئلّا تنزل بهم الضربات الهائلة التي تأمر بها شريعة الانتقام. وهذه الشريعة تجعل البيداء في أمن وسلام يسافر فيها المرء غير خائف من صولة الاعداء بنفسه وان سلبوهُ مالهُ

على ان عواطف الشفقة والحلم تغلب فيهم مرات عديدة على حب الانتقام وتحمل الاعراب على الصفح. ولقد يذكر التاريخ القديم حكايات وفيرة تشير الى شهامة نفسهم وكرم اخلاقهم. ولدينا حوادث كثيرة في ايامنا الحاضرة تدلّ على عفوهم لاعدائهم. ودونكم النادرة الاتية: الثار تُعشّى في مضارب بني صخر والكلاب تنبح فتدعوا المسافرين الى خيمة الشيخ فواز. واذا بشاب لطيف قد نزل عن فرسه وحيّا الضيوف قائلاً : السلام عليكم. فقالوا: وعليكم السلام. قال : حيّاً الله الرجالَ. قالوا. حيّاً الله الرجل. قال: العوافي يا غانمين. قالوا: حيّاً الله الغانم. ثم جلس بالقرب من الشيخ وبات عند العرب اياماً طوالاً لا يسألونهُ فيها جهة القصد الى ان حان وقتٌ طغاه فيه الشيطان فاستطبه في زلّة كبرى. رأى ابنة الشيخ فسُحر بجمالها ولمّا انسدل هجم على خيمتها فقتل العبد الحافظ لها وخطفها وسافر. فذاع الخبر باقلّ من لمح البصر

فلحقهُ اخوانها الثلاثة وكان كلّما تقدَّم اليهِ احد يضربهُ برمحهِ فيرميهِ مجندلًا على الارض اخيرًا لحقهُ العرب وفرسانهم. فانهزم الى ان لقي خربوشًا (١ وكان على بابها شاب في مقتبل العمر فصاح بهِ وقال: يا ابا رشيدة انا في وجهك وفي مرقد عيالك. قال: لقيتَ خيرًا ومرعى واماناً. ولمَّا اقبلت العشيرة تطلب الابنة وحقّ الدمّ أرجعها الشاب وقال: هو البيت يحمي الطريد والشريد. هو الوجه يدفع صدمات العدوّ. فرجع القوم صامتين. وسأل الخاطف الابنة عن صاحب البيت فقالت: سوَّد الله وجهك هذا ابن عمي وخطيبي قد طلبني من اخواني فوعدوه الى ما طلب. وقد مهَّد الصبات كي يتزوَّجني اذ قاتلَ اولاد عمهِ. فامتقع لونه وتغيَّرت هيئتهُ واصبح وجهه كوجه الاموات. على ان صاحب الخربوش اكرم مثواه في تلك الليلة. وأعدَّ له خيمة العرس وزوَّجه بها. ثم صالحَ العربَ مع الشاب وسالَمهم وعاهدهم بان لا يُنزلوا بهِ ضررًا. فهذا مما يدلّ على علو النفس وشهامتها فهذه العواطف النبيلة لا تكاد توجد بين اصحاب التمدّن لان صاحب البيت قد صفح عن قاتل اولاد عمهِ وعن خاطف خطيبته وصالحهُ مع العرب ولم يدفعه الى كل ذلك الّا سموّ النفس وحبّ الذكر

وكم من مرَّة سمعنا في مضارب الاعراب حكايات كثيرة تدلّ على حلمهم وعفوهم فمنهم من اكرم قاتل ابيهِ وعارق بيادرهِ وخاطف ابنتهِ. ومنهم من كان مستلًا سيفاً في سورة الغضب اذ ردَّه الى غمدهِ كي يُصيب صيتاً بعيدًا بين الاعراب لاسيما في عشيرته. وكثيرًا ما ينبض نابضهم ويهيج هائجهم وتتصادم الجماعات فيقوم بهم شيخ نال من الدهر رزانة وحكمة فيحاجزهم ويوادعهم ويصلح ذات البين. وربما كان مهاناً او مشتوماً فيقول مثلًا: أصلحْ تجدْ. اي من اصلح وجد الشرف او وجد المعروف. ونجد في خيم العرب اناسا ثابتي العقل راجحي الحلم وقورين في آرائهم هادئين في حديثهم فهؤلاء هم الحكماء في البداة نصيبهم المولى لوضع السلام

٢ صوت الشتائم

قبل ان نذكر عقوبات اهل القوارع والشتائم اي كل ما يصدر من اللسان فيجرح فؤاد القريب او شرفه او يهين اهلهُ او اقاربهُ وعشيرتهُ علينا ان نورد بعضا من لواذع

(١ الخربوش هي الخيمة الصغيرة لها عامود واحد

اهل الحيم تفكهة القرّاء. ومنها يُستدلُّ ان شتائم اهل المدن تختلف اختلافاً عظيماً عن قوارص اهل البادية لان النطق وتصوير الافكار في الاذهان يختلفان باختلاف المواطن والعشرة والذوق والطباع وما يؤثر كل يوم من المناظر او يطرق على آذانهم من الكلام. وليصفح المطالع اللبيب عن تجاسرنا في ايراد ذلك لاننا لم نسطر الّا اللطيف المستحسن

يقول الرجال لبعضهم في مقام التسلية والمازحة: قبّح الله وجهك يا فلان. او: الله لا يعطيك العافية. او: الله لا يعوّضك خيراً. ويقولون: يهدم بيتك ما احلاك. ويخرب دارك ما اكذبك. او: الله لا يُيسّر لك سبيل. يا لله لا يفكك من تعاسير دنياك

وفي اول الغضب يقول بنو صخر: أرعْ أي أنظرْ. ويقولون: يَرْ (اي ما هذا) إخسْ من رجل (اي يا لك من رجل خسيس). وفي احتدام الغضب يقولون: الله لا يرحم مراقيد والده (اي كتفه التي يرقد عليها). واذا كذب احدهم يقول كبير الحاضرين: «الكاذب يلتعن والديه ويُقصّف عمره. فلان ملعون الوالدين». وهذه الكلمة تكاد ترد في كل عبارة من عباراتهم

ومن شتائمهم ما يقرب مما اعتاد عليه اهل سوريا ومصر كشتائم الاب على ان العرب يتجنّبون لعنة الدين لما فيها من الاهانة الكبرى للمولى عزّ وجلّ. غير ان الاموات لا ينجون من شتائمهم بل تهطل عليهم المسبات المديدة. ونعجب كل العجب كيف ان الاعراب يحترمون الاجداث والمقابر ويحافظون على رفات الموتى من الاهانة ومع ذلك لا يدور لسانهم في فمهم الّا لينطق بالشتائم على الاموات فيقولون: فلان يرحم على فلان (اي يشتم على امواته) ويقولون: الله يحرق قلاع بيتك (وهي الاوتاد والأطناب). ولا يتركون عضواً من اعضاء الانسان الّا ويُنزلون عليه نار الغضب الالهي. وسألت احد الاعراب يوماً وقلت: لماذا لا تتركون الاموات يرقدون رقدة سعيدة بل تقاقونهم بسباتكم. فقال: الشتائم لا تغير شيئاً من حالة الاموات ولكن قد اعتادت ألسنتنا على ذلك وهي كالدخان تتصعد في الهواء

والصخور حينما يسبّون يقولون: إيس. ويدهم على قرابيب السيف ليلتضوه ويضربوا به. ويقول عرب الصقر: يَلْ (بمعنى ويل) ومنهم من يقول: يستر على

نظرك. وكان الاقدمون يقولون بالمعنى نفسه: بيّض الله عينك وسوّد المولى وجهك. ومنهم من يقول: قبحاً لهذه اللحية. او: قبّح الله هذا الشارب. او يقطع رباطك وجباطك (اي الخيمة والمرعى). ويقولون: يطفي نارك ويهدم اطنابك. والنار هي دلالة الكرم فكأنهم يقولون: يخسع المولى تلك الضيوف فتصبح ذليلاً مهانا. ويقولون هرع. اي انت ايضاً في مقام التحقير. ومن كلامهم: عسى مراحك اخضر. وهذه دعوة كبيرة لانهم بها يطلبون موت المواشي كي تبقى المراعي خضراء.

ويقال ان الشرارات هم اقوى العرب على ايراد السبّات بصورة غريبة. ومن ذلك ان رجلاً لقي شرارية فقال: هل تقدرين ان تبيّني لي ما هي اعظم الدعوات عندكم. فقالت: الله يكفيك شرّ الدعوات. فكرّر عليها الطلب فقالت: دونك «الله يقطعك من كل ما يميل ظلّهُ». هذه اكبر دعوة عندنا. والحق يقال لا شيء في الدنيا الّا وله ظلّ اي يحرمك المولى من كل ما في الدنيا. وللنساء شتائم خاصّة تضرب صفحاً عنها لقبحها

ولقد يعسر على البدوي احتمال ادنى شتيمة او دعوة صُوّب بها. وذلك يُستدلّ مما ذكرناه عن حبّهم للمجد والشرف وفقاً لما قال شاعرهم:

لا يسلمُ الشرف الرفيع من الاذى حتى يُراق على جوانبهِ الدمُ

فانهم يعدّون الشتيمة اشدّ تأثيراً من حدّ السيف. ولقد يستعملون في تشابيههم واستعاراتهم قولهم: لا يزال كلامه بقلبي كحدّ السيف او كسهم حادّ. والسبّات تثير الحروب في البادية وتحمل اهل المشتوم او المشتوم نفسه على الانتقام. يروى ان شاعراً من بني حسن تطاول في الكلام فهجا ذيبة ابنة الشيخ عودة ابي تايه امير الحويطات. فلما ورد الشاعر الى مضارب الامير قال له عودة: قبحا لهذه اللحية يا قذّاف المحصنات وشاتم الآنسات يلسع لسانك كلسع الحيات. فأثّر هذا الكلام في قلب الشاعر تأثيراً شديداً. وخرج الشيخ من خيمته وقال: والله لئن اكتحلت عيني به او جمعتني به ارض لأهدرت دمه الى ان يحول بيني وبينهُ ما لا استطيع دفعهُ. فهرب الشاعر كئيباً ولم يأكل طعاماً عنده فوجده اعرابي وقال له: يا ابا قِذلة يا شاعر بني حسن على ما انت مجمع الآن. فقال: على ان اتخذ الليل مركبا فان السير فيه اخفّ عليّ وطأة. قال: هذا هو الصواب والرأي ان يكون معك رجل تستأنس به في الطريق. فتقلّب وجههُ

وقال: السيف في عاتقي فالي حاجة الى مؤنس غيره. ولمّا ابتعد في البرّية امر الشيخ عودة احد عبيده فلحقهُ في الخلاء وقتله على هجانه

وقد حكى لي عبد المهدي قاضي الموازم ان ارباب الشتائم يعذّبون باقسى العذابات. فان رجلًا من العدوان رفع يده على ابيه وقال: اخس يا شايب. فسمع بذلك علي الذياب شيخ العدوان فامر بقطع لسانه. ويحكى ان رجلًا من العشيرة نفسها بصق بوجه عدوّه فامر عليّ بان تحلق لحيته الى نصفها فقط. ومن شتم عند عرب الشرارات والصخور يدفع للمشتوم فرساً او سيفاً او بعيراً او ثلاثين ريالًا. والشاتم عند العدوان يُضرب بالسياط حتى يسيل الدم من اعضائه. وكثيراً ما يضعون دبساً على وجهه ويربطونه باوتاد فيأكله الذبّان. او يربطونهُ ويوجهون عيونه الى الشمس حتى يموت ويُهذّب الاشرار ويرجعون عن غباوتهم. والسلطان عليّ الذياب شيخ العدوان لا يرحم الشاتم. وقد رآه كثيرون يضرب الثالبين والشتّامين بقضيب او بجلدة مؤلمة

ويروى ان بدويًا اهان والده اذ رفع عليه هجانه (وهي عصاً صغيرة) فالزمهُ القاضي بان يحرث ارض ابيه مدة سنتين. وقد روى عبد المهدي الحكاية الآتية قال: قدم شيخ هرم الى قاضي البلقاء ابن قلّاب وقال: ويش بلك يا عواد بن قلاب يا فكّاك النشب برادٍ لي ربّيتهُ حتى نشأ وكبر واليوم قد جرّني بجديلتي الى خارج الخيمة وشتمني. فقال لهُ القاضي: اذهب يا شايب ما صنعه ابنك بلك سيصنعه به اولاده في المستقبل. وحكم على الولد بان يبني خيمة لابيه ويدفع له خمسين نعجة ليكرم بها الضيوف. وقد تمّ كلام ابن قلاب فان اولاد الابن قد جرّوا اباهم الى خارج الخيمة ولما انتهوا به الى الموضع الذي اوقع اباهُ فيه قال لهم: كفاكم ايها الاولاد الاشرار الى هنا فقط جررتُ ابي. وتذكر بحكم ابن قلاب (١ (لهُ بقيّة)

---

١) هذه القصّة يروي العرب شبيهاً بها في ابي أخزم الطائي ومنها مثلهم: «يُقْشِبَةٌ أعرفها من اخزم» (المشرق)

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعي الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الامير محمد بن سعود واتحاده الى الوهابيين

صار الامر بعد سعود الى ابنه محمد وكان هذا رجلاً ذا عزم وإقدام حريصاً على السيادة راغباً في توسيع نطاق إمرته. فسار سيراً حسناً في قومه وابطل المظالم وألغى المكوس وألّف قلوب عشيرته ثم اخذ يسعى بمدّ سيطرته على قبائل نجد فأخضع منها قبائل العُتوب والعنزة ووقف بالمرصاد لغيرها رجاء ان يستولي على كل جزيرة العرب

ففي تلك الاثناء قدم عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فعرض عليه دينهُ واطمعهُ بملك جزيرة العرب اذا انتمى الى مذهبه. ومن قوله له: «ايها الشيخ ان هذا هو الله ورسولهُ الذي لا شكَّ فيه فأبشر بالنصر ان انت عضدتني في دعوة الناس الى التوحيد فتكون لك السلطة التامّة على بلاد نجد وغيرها ويستتبّ لك الحكم على سائر العرب واقوم انا بالدعوة الى الدين اذ لا تثبت الدول الّا بالسلطان والدين معاً». ثمَّ اشترط عليه شرطين: الاول ان يقوم مع انصاره بفريضة الجهاد في سبيل الله ولا يرحل عنهم ولا يستبدل منهم غيرهم. والثاني ان يأخذ الشيخ لنفسه وقت الثار خراجاً من أهل الدرعية. فأيقظ هذا الكلام من ابن سعود حبّ الملك وأمل الرئاسة فما لبث ان طاوع ابن عبد الوهاب وقبل ما اشترط قائلاً: «اما الأولى فامدُدْ يدك». فمدَّها وقبضها ابن سعود فقال: «الدمُ بالدم والهدمُ بالهدم». اما الثانية فلعلَّ الله تعالى يفتح لك الفتوحات فيعوّضك من الغنائم ما هو خير لك». ثم بايع صاحب الدعوة على الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى اقامة شعائر الاسلام فقرنهُ ابن سعود باحدى بناتهِ وصارا يداً واحدة في السعي وراء تحقيق امانيهما

واستقرَّ منذ ذاك الحين ابن عبد الوهاب في الدرعيّة وتسمّى محمد بن سعود

بالامير وتبعهُ اهل الدرعية. ثم شاع الخبر بنصرة الامير للشيخ فاتى الدرعيَّة من كان ينتسب اليها من روَّساء واعيان منهم اهل العُيَيْنَة وروَّساء المعامرة وغيرهم. ثم جعل ابن عبد الوهاب يسعى للامام ابن سعود ويدعو اهل البلاد المجاورة وسائر القبائل والعشائر الى التوحيد والدين الاسلامي. صلُحاً. فتألَّبت عليهِ بذلك الجماهير من العرب واخذت دائرته تتسع وجماعته تكثر يوماً فيوماً. وكان ذلك سنة ١٧٤٢ في عهد السلطان محمود الاول (١)

وكان من نتائج الدعوة الوهابية ان مصلح الحالة الدينية نفخ في اهل نجد روحاً اسلامية لم يعهدوها من قبلهِ لولا انَّ اصلاحهُ بلغ به الى الغلو والافراط فاضحى تعصُّباً ذميماً. فكان الامام يعاقب اشدَّ العاقبة كل من لم يؤدِّ الصلوات الخمس في اوقاتها او يلبس حريرًا او يتحلى بذهب او يشرب التبغ او يضرب آلة طرب او يرفع صوتهُ بغناء او يقضي الليل في السامرة بعد صلاة العشائين او يحلف بغير اسم الله. وكان اتخذ لهُ شورى متألفة من ٢٤ صاحباً يتجوَّلون في احياء البلد ويوقفونهُ على ادنى مخالفة لهذه الفرائض فيوجب على المذنبين الحدّ ويضربهم بالسياط ويغرّمهم الغرائم الطائلة. وممَّا اقنعهم بهِ ان كل من لا يجري على هذه التعاليم من المسلمين هم مشركون تُعَدّ بلادهم كدار حرب تجوز محاربتهم وقتلهم وسَلب اموالهم ما لم يرعووا ويدينوا بدين ابن وهاب

اما محمد بن سعود فانهُ اخذ يجنّد الجند ويمرّنهم على القتال ومباغتة العدو ثم درَّبهم على مقاساة الجوع والعطش والعري وقطع البوادي القاحلة على الهجين يركبهُ الجنديان مترادفَيْن. وكان يرسلهم لمحاربة القبائل المخالفة فينقضُّون عليها انقضاض القشاعم فان أبَى اهلها من النجاة عوضوا عليهم الدين الوهابي فان أبوا أعملوا السيف في الرجال وسبوا الذراري وبقروا الحوامل وان رضوا عشَّروا اموالهم واخذوا العشر ايضاً من رجالهم كجند ينظمونهم في جيوشهم. فقويت بذلك شوكة ابن السعود واشتدَّ ساعده حتى اصبح اكبر امراء نجد. وكان ابنهُ عبد العزيز رئيساً على جيوشه فأيَّد بفتوحاته الدعوة الوهابية

---

(١) كان جلوسهُ على عرش بني عثمان سنة ١٢٢٣ ﻫ (١٨٠٨ م) ومات سنة ١٢٥٥ ﻫ (١٨٣٩ م)

الوهابيون بعد محمد بن سعود

ثم توفي محمد بن سعود في ربيع سنة ١٧٦٥ فخلفهُ في امارته عبد العزيز وكان يشبه اباه بشجاعته وحسن سياسته وحرصه على نشر التعاليم الوهابية بالجهاد ولهُ الفتوحات العديدة منها مدينة رياض عاصمة السيد دهام بن دوّاس من اعيان شيوخ الجزيرة. دخلها بعد معارك طويلة سنة ٧٧٢ . ومن مآثره وقوفه في وجه اعدائه من حلفاء العرب والاتراك. فانهم ساروا بجيوش جرّارة لمحاربة الوهابيين وكادوا ينالون منهم لولا دهاؤهم وثباتهم وسرعتهم في جمع شتاتهم بعد انكسارهم. ثم كرّوا على بلاد الأحساء. وشتتوا شمل سعدون صاحبها واستولوا على عاصمتها الدلم سنة ١٧٨٣

فزادهم هذا الفوز بأساً ودخلوا اطراف الحجاز ونهبوا قوافل الحجّاج وتهدّدوا حواضر البلاد. وكان محمد بن عبد الوهاب لا يزال في قيد الحياة يبعث في القلوب التحمّس الديني. وكان من اقوى أنصار سعود بن عبد العزيز فعيّنهُ ابوهُ سنة ١٧٨٧ كخلف لهُ بعد وفاته فبايعهُ على ذلك رؤساء البلاد الوهابية. وكانت وفاة محمد ابن عبد الوهّاب في ٢٠ حزيران ١٧٩٢ طاعناً في السنّ معمّراً خمساً وتسعين سنة. وقام بعدهُ في امامة الوهابيين وقضائهم الامام حسين ابنهُ وتقفّى آثار والده

عز الوهابيين وزوال مجدهم

في هذا الزمان بلغ الوهابيّون اوج عزّهم . فانّهم بعد ان بسطوا على نجد ظلّ دينهم طمعوا ببصرهم الى ما وراء حدوده من الجزيرة العربية فكانوا كلّ يوم يزيدون سطوة ويوسعون دائرة ملكهم ثم أخذوا يرسلون الوفود والدُّعاة الى قبائل الشام والحجاز واليمن ليعرضوا عليهم مذهبهم متذرّعين بالاتراك والشرفاء والفقهاء وناسبين اليهم تشويه الدين الاسلامي

فاثارت هذه الاعمال احقاد المسلمين ولا سيما شريف مكة السيد غالب فلم يرَ بدًّا من استنهاض همم القبائل الجنوبية والاستنجاد بقوى الدولة فدعاهم الى الجهاد فاحتشدت عدة قبائل موالية للدولة كالخثير وبني شمّر والمُنتفق. وتحفّز والي بغداد

سليمان باشا لمحاربة الوهابيين فاخذ يجنّد الجنود ويمدّ الذخائر غير ان هذه العُدَد لم يتمّ استحضارها الّا بعد زمن طويل في السنة ١٧٩٧ فسارت الجنود العثمانية والعرب المحالفون وفي صحبتهم الذخائر الحربية من مدافع واسلحة لكن هذه الحملة بعد بلوغها الى بلاد الوهابيين لم تَفُزْ بالظفر المأمول لتفرّق كلمة الحلفاء وما أصابهم في الصحاري القاحلة من العطش والضنك الشديد بينما كان العدوّ واقفاً لهم بالمرصاد يناوشهم القتال ويحول بينهم والمياه العذبة او يطمّ الآبار او يفسد مياهها بالمواد السامّة او القذرة حتى اضطرّ علي بك كاخيه سليمان باشا والسرعسكر الى ان يصالح الوهابيين فتفرّق العرب دون طائل. بعد ان قتل احدُ الوهابيين قائدهم الشوبيني

دخول الوهابيين كربلاء

كان خذلان العرب المتحالفين لمحاربة الوهابيين داعياً جديداً لتحمّس احزابهم فما لبثوا ان جمعوا غزاتهم سنة ١٨٠١ وحملوا كالاسود الضارية على كربلاء مَقدس اهل الشيعة في عدد ١٥،٠٠٠ فدخلوها بغتةً وقتلوا رجالها واولادها كالكفّار وبقروا نساءها الحوامل ثم انتهكوا حمى مشهد الامام حسين فنهبوا ما فيه من الكنوز والجواهر الثمينة التي كان انصار الشيعة خزنوها هناك منذ مئين من السنين اكراماً لولتهم ثم هدموا المشهد وعادوا الى بلادهم بالغنائم البالغة حمل مئتي جمل

حملة الوهابيين على الحجاز

كان لعمل الوهابيين في مشهد الامام حسين اسوأ وقع في قلب عموم المسلمين وخصوصاً في اهل العجم فقاموا وقعدوا يريدون محاربة الوهابيين وقتلهم عن بكرة ابيهم. فتأهب للجهاد ملك ايران فتح الله شاه ووالي بغداد سليمان باشا واعدّ الاتراك حملة عظيمة ليوقعوا بالوهابيين في ديارهم ويلحقوا بالدقماء مدينتهم الدرعية. على ان ذاك التحمّس خمدت جمرتهُ بعد قليل ولم يأتِ بنتيجة تُذكر لان المتحالفين اضاعوا وقتاً طويلاً بإعداد حملتهم حتى ضجر الكثيرون. ثم لم يحسنوا تنظيم حركاتهم وتوحيد كلمتهم فتضعضعت قواهم. واذ وقعت في تلك الاثناء الحرب المسكوبية مع

الدولة وأخلد الاكراد الى الفتن في جهات الموصل تركوا الوهابيين وشأنهم وصرفوا افكارهم الى سواهم

فلما رأى الوهابيون ان الجوَّ صفا لهم ولم يبقَ في طريقهم معارض اوخوا العنان لمطامعهم ولم يعودوا يقفون عند حدّ ففكروا في فتح اليمن والحرمين فارسل عبد العزيز حليفهُ المسمَّى ابا نقطة شيخ بني عسير ليستولي على انحاء اليمن فسار اليها وتحت امرهِ رجال من عرب القبائل الجبلية ذوو بأس وقوَّة فاحتلَّ معهم كل سواحل اليمن الى مُخا. امَّا ابنهُ سعود فوجَّه الى الحجاز

وكان حينئذٍ على مكة الشريف غالب فسعى بان يوقظ الاتراك من سِنتهم ليساعدوهُ في كسر شوكة الوهابيين لكن صراخهُ لم يلقَ صدى عندهم فأتكل على نفسهِ واستعدَّ للدفاع عن المدينة. فجاءت سَريَّة من الوهابيين عليها عثمان المضايفي شيخ بني عدوان لفتح مدينة الطائف على مرحلة من مكة وهي مدينة طيبة الهواء حسنة الموقع كثيرة الثمار يصطاف فيها المكيون من اهل الثروة فحاصرها ودخلها بعد مقاومة عنيفة حملت الوهابيين على قتل سائر سكانها ونهب اموالها وتدمير ابنيتها. ثم سار الى سواحل البحر فتح مدينة قنفذة ونكص على اعقابهِ فضمَّ قواه الى جيش سعود لمحاربة مكة سنة ١٨٠٢

فتح مكة وقتل عبد العزيز

اقشعرَّت ابدان المكيين هلعاً لِما بلغهم من معاملة الوهابيين لاهل الطائف وعوَّلوا على طلب الامان منهم. امَّا الشريف غالب فآثر محاربتهم وخرج لقتالهم فاوقفهم مدَّة عن المسير لكنهم ضاعفوا قواهم وقطعوا الماء الشروب عن اهل مكة فلم يبقَ لهم غير الماء الأُجاج من الآبار ثم غابت عليهم المجاعة حتى تزاحموا على اكل الكلاب والهررة وكادوا يثبون على الشريف لولا انهُ استدرك الامر وخرج من البلد هارباً الى جدَّة. فصارت مكة تحت رحمة الوهابيين واذ كان عبد الله باشا امير حجَّاج الشام قد قدم الى زيارة المناسك الدينية قُضي عليهِ بطلب الرخصة من الوهابيين فسمح الامير سعود لجموعه باتمام فرائض الحجّ لكنَّهُ اشترط عليهم ان يقفلوا عائدين الى بلادهم بعد ثلاثة ايَّام

فلما برحوا مكة دخلها الوهابيُّون في تموز ١٨٠٣ وتملَّكوها واقام الامير سعود حاكماً على اهلها عبدَ المعين اخا الشريف غالب ثمَّ قضى بالاعدام على بعض اعيان المدينة ونزع عن المساجد حليَّها وهدم كل القبب والمشاهد وجرَّد الكعبة من المحمل الذي يكسوها وقلَّد القضاء احد علماء الوهابيين يدعى ابن نعمة فسلك بينهم نهج السلوك حتى ضُرب المثل بعدله

ثم سار سعود الى جدَّة لمحاربة الشريف غالب لكنها عصت عليهِ فلم يقوَ على فتحها لمناعتها. وكذلك المدينة ارسل اليها فرَقاً من جندهِ لم ينالوا منها فاضطرُّوا الى الرجوع عنها بعد ان فشا بينهم داء الطاعون

وفي تلك الغضون هجم على عبد العزيز في الدِّرعية رجل من الاعاجم وقيل رفاضيّ من العمادية كان الوهابيُّون قتلوا اولادهُ يوم غزوهم لكربلاء. فتظاهر بالمذهب الوهابي سنةً في الدرعية حتى أمكنتهُ الفرصة من أخذ ثأرهِ فضرب الاميرَ بمدية وقت صلاة العصر في ٣ ت٢ سنة ١٨٠٣ فقتله فالتفَّ الجمع على القاتل واحرقوه بالنار وكان عبد العزيز بلغ الثانية والثانين من عمرهِ. وكان الوهابيُّون يثنون على عدلهِ ونزاهتهِ وحسن تدبيرهِ لامورهم وتُقاه في اقامة سنن الدين على مقتضى التعاليم الوهابية

فدعت هذه الاحوال الامير سعود وجماعته الى ان يتخلَّفوا عن الحجاز ويعودوا الى نجد. فانتهز المكيون هذه الفرصة واجتمعوا على حامية الوهابيين وكان عددهم نحو المائتين فقتلوهم واعادوا من جدَّة الشريف غالباً فتنازل لهُ اخوهُ عن امارتهِ

امارة سعود بن عبد العزيز

قبض الامير سعود على زمام التدبير بعد ابيهِ وآلى على نفسهِ ان يبسط حكم الوهابيين على كل جزيرة العرب. فحشد جيشاً عرمرماً وسار الى البحرين وديار الجواسم فدخلها ظافراً وتهدَّد العراق. فعهدت الدولة العثمانية الى ولاة بغداد ودمشق وجدَّة قطع دابر الوهابيين فانتدبوا لذلك رؤساء الاكراد وشيوخ قبائل العرب وانضمَّ اليهم سلطان مَسقَط مع قوَّاتهِ البرِّية والبحريَّة. ولكن هذه البعثة انتهت كالحملة السابقة بالفشل والخذلان لشتات شمل الحلفاء بعد تفوُّق كلمتهم وعجزهم عن التدبير وسوء تصرُّفهم. فاندفع الوهابيون في اثرهم كالسيل الجحاف وتوغلوا في ولاية البصرة فاشبعوا اهلها قتلاً وسلباً

الامير سعود وملكه على الحجاز

ثمَّ بثَّ الوهابيُّون قواهم في سواحل خليج العجم غربيَّهُ فملكوا مع البحرين الاحساء ومسقط وعُمان واضطرُّوا قبائل العرب المستوطنة فيها الى الرضوخ لشريعتهم شاؤوا أم أبوا

وفي السنة ١٨٠٥ اعلن سعود بانهُ حان الوقت لبسط يده نهائيا على أمَّهات الحجاز فسار بجموعهِ واحتلَّ مكة دون مقاومة لان الشريف غالباً اخذ يتظاهر بالمذهب الوهابي ويؤلف قلوب الوهابيين بما يرسله من حين الى آخر من الهدايا والالطاف الى اميرهم . فدخل سعود المدينة وعامل اهلهـا بالرفق هذه المرَّة وعافاهم عن الضرائب المألوفة ثم أدَّى مع قومهِ فرائض الحجّ لكنهُ تشدد في منع كل ما يحرّمهُ الوهابيون وابطل كل التقاليد التي استُحدثت بعد نبي الاسلام وخلفائهِ الراشدين واثبت الشريف غالباً في منصبه

ثم خرج من مكة الى المدينة فدخلها بعـد مناوشات قليلة مع البعض من سكانها . ولعلمهِ بموالاة اهلها الاتراك ونفورهم عن مذهبهِ لم يرعَ لهم جانباً فنفى منها عمَّال الدولة وطرد حجَّاجهم وسلَّم تدبير البلد الى شيخ بني حرب المدعو الشيخ مذين وقرَّر على الاهلين دفع المكوس والضرائب . ثم جرَّد قبر نبي الاسلام من كل زينتهِ وحاول هدم قبَّتهِ وعرض للبيع ما كان فيهِ من الجواهر الكريمـة وذوَّب آنيتهُ الذهبية فضَّها نقوداً وفرَّقها على اصحابهِ ومنع من اكرام الانبياء ومن شرب التبغ . قيل انهُ بلغهُ ان امرأة من المدينة شربت التارجيلة فأمر أن يطاف بها في احياء البلد راكبةً على حمار وفي يدها التارجيلة وعنقُهـا مطوَّق بتاربيجها . وكان لا يسمح للحجاج اذا زاروا المدينة الَّا بالصلاة في جامع النبي دون اكرام قبره . وكان اذا وجد بينهم اتراكاً خفَّف لحاهم اسوةً بلحية نبي المسلمين

ملك الوهابيين على اليمن

وكما خضع الحجاز لحكم الوهابيين كذلك اليمن لم يرَ اهلهُ بدًّا من متابعتهم على مذهبهم . فانَّ ابا نقطة الوهابي شيخ العيد بعد احتـلاله سواحل اليمن تحفَّز للولوج

في داخل البلاد. وكان على اليمن شريف يدعى حمودًا فهذا تصدَّى لابي نقطة وجاهر بكراهته للمذهب الوهابي وتحصَّن في حاضرته. غير ان الوهابيين صدقوا في الحملة عليه وهزموه واحتلوا بلاده وفتحوا مدينتَي لُحَيَّة وحديدة من اغنى مدن اليمن فنهبوهما الى ان جاءهم الشريف حمود خانعاً ذليلًا منتسباً الى التعاليم الوهابية سنة ١٨٠٥

وبخضوع اليمن كاد الوهابيّون يبسطون سيطرتهم على كافة انحاء الجزيرة اذ امتدَّ ملكهم من شمالي وغربي نجد الى خليج العجم ومن بادية الشام الى البحر الاحمر. وصار الحج تحت رحمتهم لا يأذنون للحجّاج بدخول الحرمَين الّا بعد دفع المبالغ الوافرة وتحت شروط حرجة يشرطونها عليهم لا سيما على أصحاب السُّنَّة بغضاً بالاتراك

وهكذا استمرَّت جزيرة العرب عشر سنوات تحت نير الوهابيين يُشيعون فيها مذهبهم ويحاربون كل من عارضهم. وفي السنة ١٨٠٧ طمعوا في نهب مشهد علي في نجف كما فعلوا في مشهد حسين في كربلاء. واوشكوا ان يفوزوا بالمرام لولا خطبةٌ جاهر بها قائدهم ليلًا قبل هجومهم على المشهد فسمع صوتهُ بعض الحرس واسرع الى الاهلين ينذرهم بما يتهدَّدهم فتراكضوا مدجَّجين بالسلاح وخلَّصوا المشهد والبلد من ايديهم

لكنهم في العام المقبل اعتاض الوهابيون عن هذه الخيبة اذ تقدموا الى جهات الرقَّة وفتحوا مدينة عانة على الفرات ونهبوها نهباً قبيحاً. ومنهم من سار الى حوران واستباحوا فوق عشرين من قراها. ثمَّ توجَّهوا الى دمشق وارادوا احتلالها لولا ان يوسف باشا واليها ارضاهم بمال ادَّاهُ لهم فاكتفوا بوضع يدهم على ارباض المدينة وعلى غلاَّت الغوطة المتوفرة

واتَّفق الوهابيون مع الجواسم فعمَّروا عدَّة سفن في خليج العجم وركبها قرصانُهم لتوقيف المراكب المبحرة وفتح مدن السواحل. لكن الانكليز ارسلوا اسطولًا لمحاربتهم وشتَّتوا شملهم. وكذلك قبائل المنتفق المحالفة للدولة العثمانية ردُّوا غاراتهم عن العراق بعد ان اجتمعوا لفتح البصرة وسلبوا كل غلَّات نخيلها

خروج المصريين على الوهابيين

ضاق ذرع بني عثمان في محاربة الوهابيين ورأى السلطان محمود خان الثاني ان

ولاة العراق والشام والحجاز قاصرون عن قمع شوكتهم فالتجأ الى محمد علي باشا عامل الدولة اذ ذاك على مصر . فاجاب الى طلب السلطان واستبشر خيرًا لما سينالهُ بفتح الحرَمَيْن من الفخر ومن توطيد ملكه على مصر . لكنهُ لم يشأ ان يبتعد عن القطر المصري خوفاً من المماليك العُصاة وهو في شك من استتباب شأنهم بالمكيدة . فولّى ابنهُ طوسون على عسكرية اعدَّها لمحاربة الوهابيين . فسار طوسون باشا وعمرهُ اذ ذاك لا يزيد على ١٦ سنة وتحت امرهِ ٦٠٠٠ جندي من البياده وألفان من السواري مع عدد من الطوبجية . فلقيهم الوهابيون قبل وصولهم الى المدينة عند مضيق حُدَيدة فكسروهم وأخذوا منهم سبعة مدافع

فرجع طوسون باشا الى ينبُع وانتظر ما وُعد به من المدد . وفي تلك الاثناء جاءه احد كبار الوهابيين المدعو ابن شديد كان سعود عزلهُ عن رتبتهِ فنقم على قومهِ وانتقل الى خدمة المصريين . فرحّب بهِ طوسون باشا وجعلهُ على قسم من عسكره فسعى ابن شديد لدى بعض القبائل الوهابية فردَّها الى خدمة الدولة

ثم اتى المدد المطلوب من مصر وحصل طوسون على عسكر جرار تولى تدبيرهُ فسار الى المدينة دون ان يلقى في طريقهِ معارضاً ولم يكفّ عن محاصرتها الى ان فتحها بعد شهرين في اواخر سنة ١٨١٢ . ثم زحف المصريون تحت امر مصطفى بك حمي محمد علي باشا الى مكة فلم يقوَ عبد الله ابن الامير سعود قائد الجيش الوهابي على محاربتهم فولّى هارباً وتمّ فتح مكة

ثم مشى مصطفى بك بجيشهِ الى طائف وعليها من قبل الوهابيين عثمان المضايفي فانهزم من وجههِ وما لبث ان اسرهُ وانفذ بهِ الى الاستانة فقُتل هناك

انتصار الوهابيين . وفاة الامير سعود

نشط المصريون بعد انتصاراتهم فهمّوا ان يتوغلوا في البلاد الوهابية فقصد مصطفى بك فتح مدينة الطرّابة وكان الوهابيون احكموا تحصينها وعيّنوا حاكماً عليها فيصلًا ابن الامير سعود . فخرجوا من المدينة وحاربوا المصريين وكانت في مقدّمتهم امرأة تدعى غالبة زوجة شيخ قبيلة صبيح تهزج وتهوّس القوم فأبلوا البلاء الحسن وكسروا المصريين وضبطوا كل اثقالهم واسلحتهم

وكذلك فشل طوسون باشا في حصار مدينة الطرّابة لصعوبة ورود المؤونة والذخائر اليه فقضى عليه الامر بالرجوع القهقرى بعد ان حرق الاثقال والخيم وذاق الامرّين في طريقه. وكان الوهابيون على خلاف ذلك عزّزوا قواهم وعادوا الى الحجاز وفتح الامير سعود مدينة الخناكيّة وعزم على استرجاع المدينة المنوّرة. وسارت سريّة أخرى الى سواحل بحر القلزم واستردّت مدينة قنفذة بعد طردها جيش زعيم ارغاو قائد المصريين ثم قصدت الطائف لمحاصرة طوسون باشا

فلما بلغت هذه الاخبار مسامع محمد علي باشا استفزّته الحميّة فخرج بنفسه الى الحجاز والبحر الى جدّة في اواخر آب سنة ١٨١٣ ولم يألُ جهدًا في إعداد كل ما يلزم ليضرب الوهابيين ضربة قاضية. فاخذ ينشط جنود الدولة ويتحفهم بالتحف الحسنة ويؤلف قلوبهم بالوظائف. وكان قدومه أوقع الرعب في أعدائه فانفصل فيصل عن الطائف واسترجع المصريون قنفذة

وقد ساعدتهم الاقدار بموت الامير سعود بغتةً بداء الزّحار في ٢٨ نيسان ١٨١٤ وهذا الامير هو الذي بلّغ الوهابيين الى ذروة مجدهم وكان عالمًا بمذهبهم فصيح اللسان ذا هيبة ووقار وادب وحسن عشرة وكان محبوباً من رعيّته لعدله ونزاهته وإقدامه في الحرب.

الامير عبد الله — فوز المصريين

قام بامر الوهابيين بعد سعود ابنهُ البكر عبد الله وعكف على مجاراة ابيه والاقتداء بآثاره الّا ان الاحوال لم توافقهُ ولا سيما ان اخوتهُ اخذوا ينازعونهُ الامارة فتفرّقت كلمتهم وانقسمت القبائل بينهم وارتدّ بعضها عنهم فلحقت بالمصريين

وأول شيء باشر به محمد علي باشا انهُ ضمّ قواه الى قوى ابنه طوسون ثم اجمعا رأيهما على محاربة الوهابيين في قلب دولتهم في نجد. فسار طوسون باشا بخيله ورجله ومدافعه الى بلاد القصيم فبلغها دون معارض وحاصر شنانة احدى حواضر الوهابيين ففتحها عنوةً بعد يومين فقط. فكان لهذا النبأ وقع سيّء في المدن المجاورة وخاف اهل الرسّ سقوط مدينتهم فارسلوا وفدًا الى طوسون طالبين الامان

ولم تزل أقدام المصريين تزيد ثباتاً ورسوخاً في جهات نجد حتى احسّ الامير

عبدالله بحرج مقامه فطلب عقد الصلح مع الدولة العثمانية مُقرًّا لدى محمد علي باشا بحكمها عليه . وكان بين شروط المعاهدة ان تخرج الجيوش المصرية من نجد وان يذهب الامير عبدالله الى الاستانة ليقدّم خضوعهُ للسلطان فرضي بذلك

نكث الوهابيين لوعدهم — بعث ابرهيم باشا ونصرته

لمّا اخلى المصريون جزيرة العرب اخلف الامير عبدالله وعدهُ بالرحلة الى عاصمة الدولة العثمانيّة . واذ ألحّ عليه محمد علي باشا ليقوم بواعيده وتهدّده باستئناف الحرب اصرَّ عبدالله على الاباء وشرع يحصّن الدرعيّة حاضرتهُ ليردّ عنها غارات المصريين . فكان نكث الامير لعهده داعياً لعودة المصريين الى جزيرة العرب

فجنّد محمد علي باشا الجنود وسلّم تدبير حملة جديدة الى ابنه وليّ عهده ابرهيم باشا الشهير في قطرنا السوري . فما كان منه الّا ان ابحر الى ينبع في اواخر ايلول سنة ١٨١٦ ثم صار الى المدينة فدخلها وواصل المسير الى الحناكية فالتقى بجيش الوهابيين فكسرهُ بعد المعارك الدامية ثمّ جدّ بسيره حتى بلغ نجدًا وحاصر مدينة الرسّ واخذ اهلها بالمخنّق مدّة ثلثة اشهر حتى اعياهم الامر فطلبوا الامان . فجاوزها الى مدينتي الخبزاء وعنيزة فضربهما بالمدفع وفتحهما ثم استولى على بُريدة في آذار ١٨١٨ ووصل اخيرًا الى الدرّعية مركز الوهابيين وكعبتهم . فقاتلوهُ اشدَّ القتال وصبروا على حملاته المتوالية الى ٩ ايلول ١٨١٨ حيث أيس الامير عبدالله من نجاة المدينة فطلب الهدنة ثم سلّم نفسهُ في ايدي ابراهيم باشا الذي احسن اليهِ وأرسلهُ مخفوراً الى مصر فوجّهه محمد علي باشا الى الاستانة فأمر السلطان محمود بقطع رأسه في ك ١ سنة ١٨١٨

واحتلّ المصريّونَ الدّرعية فهدموا بامر محمّد علي اسوارها وحصونها واحرقوا بيوتها . فهاجر اهلها الى رياض الّا قسماً منهم تولّى تدبيرهم اسماعيل باشا الذي أقيمَ حاكماً على الدّرعية وسائر مدن نجد وتحت حكمهِ فئات من الجنود لحراستها

(لهُ بقيّة)

ديوان عمرو بن قميئة [١]

نظر انتقادي للاب انطون صالحاني اليسوعي

أهدى الينا المستشرق العالم السر شارل جيمس ليال ديوان الشاعر الجاهلي عمرو ابن قميئة (٢

فلدى تصفحنا الكتاب ابتهجت نواظرنا باتقان طبعه بحروف جليّة غير مرصوصة وبداد اسود متناسب في كل الصفحات على ورق ابيض صقيل نقيّ مع سعة بين السطور وفي الهامش . فيرتق النظر صفوف السطور بانبساط ويتتبعها بانشراح ويفهم معانيها بسهولة . فقلنا : هكذا فليكن طبع المؤلفات . والفضل في ذلك عائد الى مطبعة كليّة كمبريدج العامرة فنهدي اليها عاطر الثناء ويا حبذا لو كانت تستخدم حروفاً ذات رسم اجمل كالحرف الاسطنبولي لكانت نالت الكمال . الّا ان في قراءة حرف مطبعة كمبريدج راحة للعيون اوفر

وما اعظم ما كان سرورنا عندما استقرينا تلك القصائد الشائقة . فاخذنا العجب من نشاط وجدّ المستشرق الهمام العلّامة ليال . فانّهُ لا يألو جهدًا في نشر الكتب ودواوين الشعراء قديمًا وحديثاً رغماً عن طعنه في السنّ . فقد طبع قديماً سنة ١٨٩٤ في كلكوتا المعلّقات مع شرحها التبريزي . ونشر سنة ١٩١٣ ديواني عبيد بن الأبرص وعامر بن الطفيل وصدّرهما بتوطئتين في اللغة الانكليزية ونقل الى هذه اللغة القصائد الواردة فيهما وعلّق عليها الحواشي المفيدة وألحقها بعدّة فهارس للأعلام والمفردات والقوافي . وقد سبق لنا تقريظ هذين الديوانين في المشرق (١٧ : ٢٤١ — ٢٥١)

١) وهذا عنوان الديوان المطبوع حديثاً :

The Poems of 'Amr Son of Qami'ah edited and translated by Sir Charles Lyall, D. Litt., Fellow of the British Academy. *Cambridge. At the University Press*, 1919, pp. 76.

٢) ورد في الشرح الوجيز لديوان ابن قميئة شرحٌ لابي عمرو الشيباني يفسّر بعض عبارات المتن في القصيدتين ١٢ و١٣ ولعلّ هذا دليلٌ على ان ابا عمرو كان شرح هذا الديوان

ويُعنى أيضاً السر ليال منذ بضع سنوات بنشر «فضليات الانباري» وهي قصائد ممتازة أُنشدت في الجاهلية وفي اوائل الاسلام اختارها المفضَّل الضَّبي ونشرها ابو القاسم الانباري. يُطبع هذا الكتاب النفيس في مطبعتنا الكاثوليكيَّة وقد نجز منه ٧٩٢ صفحة بقطع كبير. والامل وطيد ان يتمّ طبعهُ عن قريب فيبلغ نحو ٩٠٠ صفحة. وبما ان الحرب العمومية سبَّبت فترة في طبع الكتاب فلئلَّا يفقد السر ليال ذرَّة من الوقت الثمين اتمَّ مدَّة الحرب بنقل الفضَّليات الى اللغة الانكليزية وطبع هذا الجزء في مطبعة اكسفرد الشهيرة مصدّرًا اياه بمقدّمة انكليزية ضافية الذيول ضمَّنها ملاحظات جزيلة الفائدة. علمنا ذلك ممَّا اشار اليه في حواشي ديوان عمرو بن قميئة

نشر السر ليال هذا الديوان في السنة المنصرمة ونقلهُ الى اللغة الانكليزية وعلَّق عليهِ الحواشي المحتوية على مختلف الروايات والتصحيحات وايضاح المعاني الى غير ذلك من الملاحظات والفوائد. وألحقهُ بعدَّة فهارس منها فهرس اوَّل لاسامي اعلام الناس والقبائل. وفهرس ثانٍ لاعلام الاماكن. وفهرس ثالث للمفردات الواردة في شعر ابن قميئة. هذا فضلًا عن فهرس يتضمَّن اسامي المؤلفات التي استعان بها او اشار اليها في حواشي الديوان. وقد صدَّر الكتاب بتوطئةٍ باللغة الانكليزيَّة بحث فيها عن امور شتى تتعلَّق بصاحب الديوان منها مُلخَّص حياة هذا الشاعر (راجع الاغاني ١٦: ١٦٣ — ١٦٦)

هو فيما ذكر ابو عمرو الشيباني عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل ويقال انَّهُ أوَّل من قال الشعر من نزار. وكان سعد بن مالك وقيس قومهِ قيس بن ثعلبة في حرب البسوس التي دارت رحاها بين بكر وتغلب مدَّة اربعين سنة. ولا يبعد ان يكون عمرو بن قميئة لسبب طول عمرهِ شاهد آخر وقائعها. ولعلَّهُ يشير اليها في قصيدته الثانية دون ان يصرّح باسم التغلبيين اعداء البكريين. وستورد بعض ابيات من هذه القصيدة. وكثيرًا ما يذكر ابن قميئة في شعره قومه بني سعد كما سترى. وكان ابن قميئة شاعرًا متقدّماً وقد نظمه الاصمعي في كتابه «فحولة الشعراء» في عداد فحول الشعراء. والاصمعي اعلم الناس بالشعر والشعراء. وقال صاحب الاغاني: ان ابن قميئة

« كان شاعرًا فحلًا ». وكان شابًا جميلًا حسن الوجه مديد القامة حسن الشعرة. ومات ابوه وخالُه صغيرًا فكفله عمّه مرثد بن سعد. وكانت سبّابتا قدميه ملتصقتين ووُسطياهما ملتصقتين. وكان حيًّا محبًّا له معجباً به رقيقًا عليه. وكانت عند عمّه مرثد امرأة ذات جمال فهويت عمرًا وشُغفت به ولم تُظهر له ذلك. فغاب مرثد لبعض امره وقيل. مضى يضرب بالقداح فبعثت امرأته الى عمرو تدعوه على لسان عمه. فلمّا اتاها انكر شأنها فوقف ساعةً. ثم راودتهُ عن نفسه فقال: لقد جئتِ بأمر عظيم وما كان مثلي يُدعى لمثل هذا. والله لو لم امتنع من ذلك وفاء لعمّي لامتنعتُ منه خوفَ الدناءة والذكر القبيح الشائع عني في العرب. قالت: والله لتفعلنَّ او لأسوأنّك. قال: أالى المساءة تدعينني. ثم قام فخرج من عندها. وخافت ان يُخبر عمّه بما جرى فأمرت بجفنة فكُفئت على اثر عمرو. فلمّا رجع عمّه وجدها متغضبةً فقال لها: ما لكِ. قالت: ان رجلًا من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي منذ خرجتَ. قال: من هو. قالت: امّا انا فلا أُسمّيه ولكن قم فاتقفد أثره تحت الجفنة. فلمّا رأى الأثر عرفه. فاخذ سيفه ذا الفقار وأتى ليضربهُ به فهرب فأتى الحيرة فكان عند اللخميّين. ولم يكن يقوَ على بني مرثد لكثرتهم. وهمّ بهجاء مرثد ثم اعرض عن ذلك لشهامة نفسه وكرمه ودماثة أخلاقه ومدح عمّه واعتذر اليه. فكان هذا سبب رضى عمّه عنه وعودته الى قومه. تُذكّرنا هذه القصة بقصة يوسف بن يعقوب مع امرأة مولاه فوطيفار المصري التي ورد حديثها في الفصل التاسع والثلاثين من سفر التكوين. وتُبيّن لنا كيد النساء الخبيثات وكيف ينتقلن من حبّ شرّير الى بغض شرّ منه

- ومِمّا قالهُ عمرو بن قيئة يذكر براءتهُ ويمدح عمّهُ ويثبت صحة الخبر الذي اوردناه قولهُ (القصيدة ٢: ٤ — ١١):

لَعمرُك ما نفسٌ بِجدِّ رَشيدةٍ تؤامرني سِرًّا لأصرمَ مرثدا
وإن ظهرتْ منهُ قَوارصُ جمّةٌ وأفرغَ في لوحي مِرارًا وأصعَدا
على غير ذنبٍ أن أكونَ جنيتهُ سِوى قول باغٍ كادني فتجهّدا
لَعمري لنعمَ المرءُ تدمو بحبلهِ اذا ما المُنادي في المقامة نَدَّدا
عظيمُ رمادِ القِدرِ لا متيبّسٌ ولا مُؤيسٌ منها اذا هو أوقدا

وان صرّحت كحلٌ وهبّت عريّةٌ (١ من الريح لم تترك لذى المالِ مرقدا
صبرت على وَطء الموالي وحَطْمِهم إذا ضنَّ ذو القُربى عليهم وأخمدا
ولم يَحمِ فرجَ الحيِّ الا محافظٌ كريمُ المُحيّا ماجدٌ غيرُ أحردا

ويشكو ابن قميئة مِرارًا من معاداة قومِهِ له و إساءتهم اليه . والجرح اذا سببتهُ سهامُ ذوي القُربى كان امضَّ . قال (٧ : ٩—١١) :

أُولئك قومي آل سعد بن مالكٍ فالوا على ضِغنٍ عليَّ وإلنافِ (٢
اكتُبوا خُطوبًا قد بدت صفحاتها وأفندهُ ليست عليَّ بآرافِ
وكلُّ أُناسٍ أقربُ اليومَ منهمُ اليَّ وان كانوا عُمانَ أولي النافِ (٣

وقال ايضاً (٨ : ٤) :

على أنَّ قومي أسلموني وغُرّتي وقومُ الفتى اغفارهُ وذعافُهُ

وشكا مما اصابهُ من نكبات الدهر وصروف الايام فقال (٦ : ٧—١٣) :

يابنةَ الخيرِ انّما نحنُ رمنٌ لِصروفِ الايّامِ بدَّ الليالي
جلَّحَ الدهرُ وانتحى لي وقِدماً كان يُنحي القُوى على أمثالي
أفصدتني سهامُهُ اذ رمتني وتولّت عنهُ سُلَيمى بنبالي
لا عجيبٌ فيما رأيتِ ولكن عجبٌ من تغرُّط الآجالِ
تدرك السَّمْحَ المولَّعَ في اللُّجَّ م والمُصمَ في رؤوسِ الجبالِ
وتَصدّى لِتَصرعَ البطل الأروعَ م بين اللهاة والبِربالِ (٤

على انَّهُ مع ما لاقاه عمرو بن قميئة من عمهِ وقومه من الاجحاف بحقوقه والمعاداة له كان يودّهم ويفتخر بهم مُعدِّدًا فخرهم فخرًا له وعزّهم عزّهُ . وهذا كان دأب شاعر كل قبيلة فلا ينفكّ عن مديحها والاطناب بها بالبسالة والسطوة والكرم . لان الشاعر عند العرب هو المحامي عن القبيلة والمناضل عنها بشعره اكثر من الفرسان بسيوفهم وحرابهم وسهامهم كما قال الاخطل :

حتى استكانوا وهم منّي على مضضٍ والقولُ ينفُذ ما لا تنفُذ الإبَرُ

١) كحل هي السنة الشديدة الجدبة . والعريّة الباردة ويقال ريح عريّة اذا كانت السماء نقية من السحاب وهو اشدّ ما يكون من البرد (حاشية الديوان)
٢) ألنف عليه اذا اكثر عليه من الكلام القبيح (شرح الديوان)
٣) خاف عُمان موضع « الخاف ينبوت عظام كالشجر يكون بعُمان الواحدة خافة وهو اسم موضع بعمان سمّي به لكثرته » (ياقوت ٣ : ٧٦٨) ٤) طَمان لموضعين

فالقصيدة هي سيف الشاعر ورمحه يفري ويطعن بهما عن كثب وعن بعد. قال عمرو (٢ : ١٦ : ٢٥):

وملمومة لا يَخرِق الطَّرفُ مَرْضَها لها كوكبٌ فخمٌ شديدٌ وُضوحُها
تَسيرُ وتُرجي السمَّ تحتَ غُورِها كريهٌ الى من فاجأتْهُ صَبوحُها
على مُنذحِرَاتٍ وهنَّ عوابسٌ ضَبائرُ موتٍ لا يُراحُ مُريحُها
نَبذْنا إليهم دعوةً يالَ مالكٍ لها إربَةٌ إن لم تجدْ من يُريحُها
فسُرْنا عليهم سَورةً ثمَّ ثَوبةً وأسيافُنا يجري عليهم نُضُوحُها
وأرماحُنا يَنهَزْنَهُم خزَّ جُمَّةٍ (١ يَعود عليهم وِردُنا فنَسيحُها
فدارتْ رَحانا ساعةً ورَحاهمُ ودَرَّت طِباقًا بعد بَكءٍ لَقُوحُها
فما أتلفت ايديهمُ من نُفوسنا وإن كرُمت فانَّنا لا نَنُوحُها
نقُلنا هي النُّهبى وحَلَّ حَراسُها وكانت حِمىً ما قبلَنا فنُبيحُها
فأبْنا وآبُوا كلُّنا بغَضيضةٍ مُهَشَّلةٍ أجراحُنا وجُروحُها

قال ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٢٢٢) في وصفه هذه القصيدة انها «من جيّد شعره» وانّ ابن قميئة «ممّن انصف في شعره وصدق»

ومدح أيضاً قومه وافتخر بهم بأبيات عامرة في القصيدة الخامسة من ديوانه. وله ايضاً في المديح والافتخار (١١ : ٢٠—٢٦):

فتًى يَبتغي المجدَ مثلُ الحُسا م أخلصَهُ النَّيْرُ يوماً صِقالا
يَقودُ الكُماةَ ليَلقَى الكماةَ يُنازِلهم إنْ ارادوا النزالا
تُشَبِّهُ فُرسانَهم في اللقاء اذا ما رَحا الموتِ دارت رِحالا
ويَمشي رِجالاً الى الدارعين كأمثالِ خُورٍ تُرجّي فَصالا
وتكسُو القَواطِعَ هامَ الرجالِ وتَحمي الفوارسُ منّا الرِّجالا
ويأبى لِيَ الضيمَ ما قد مضى وعِندَ الخِصامِ فنَطْوُ جِدالا
بقولٍ يَذِلُّ لهُ الراضِعونَ وتَفضُلُهم إن ارادوا فِضالا

ولهُ ابيات حسنة يصف بها الصائد في يديه قوسُهُ وهو مستتر في فُترته يترصّد ورود حُمر الوحش المياه ليرميها. الّا انه يخطئها فيعضّ على انامله أسفاً

(١ خز جُمّة اي انتزاع ما فيها. يقول كلّما وردناها عُدنا اليها (شرح الديوان)

(١٣ : ٢٣ — ٣٢) . وهذه الابيات تذكرنا بابيات يصف بها الاخطل صيد حمار الوحش (ديوان الاخطل ١٥) . وما احسن وصف ابن قميئة للسحاب المطر تلعب به ريح الجنوب (١٠ : ٩—١١) :

فسقى محاسنها وحلّتها قَرِدُ الرِّباب لصوته زَجَلُ
أبدى محاسنَهُ لناظره ذات المشاه مُهذَّبٌ خضلُ (١
مُتحلّبٌ تَهوي الجَنُوبُ به فتكادُ تعدِلُهُ ويَنْحَفِرُ

ووصف امرة القيس بن عمرة البطل فاجاد (١٠ : ١٤ ، ١٥) :

كم طعنةٍ لك غير طائشةٍ ما إن يكونُ لجُرحها خَلَلُ
فعلمتَها وضربتَ ثانيةً أُخرى وتَعْرِفُ إن هُمُ نزلوا

وما اجمل كلامه في الزهد في الصفحة ٦٣ والبيتان وردا ايضاً في حماسة البحتري :

وما عَيْشُ الفتى في الناس الّا كما اشتعلتَ في رِيحٍ شِهابا
فيَسطع تارةً حَسَنًا سَناهُ ذَكيَّ اللَّونِ ثم يصير هابا

ويُقال ان امرة القيس التي عمر بن قميئة في آخر عمره فأخرجهُ معه الى قيصر لمّا توجّه اليه فمات معهُ في طريقه وسمّتهُ العرب عمرًا الضائع لموته في غُربة وفي غير أرب ولا مطلب . قال صاحب الاغاني « نزل امرؤ القيس بن حُجر ببكر بن وائل وضرب قبّتهُ وجلس اليه وجوه بكر بن وائل فقال لهم : هل فيكم أحد يقول الشعر ؟ فقالوا : ما فينا شاعر الّا شيخ قد خلا من عمره وكبر . قال : فأتوني به فأتوه بعمرو بن قميئة وهو شيخ فانشدهُ فأعجب به فخرج به معهُ الى قيصر . ويروى في ديوانه « فانطلق معه فهلك ولهذا سُمّي عمرًا الضائع » (راجع الاغاني ١٦ : ١٦٥ ، ١٦٦ وابن قتيبة الشعر والشعراء ٢٢٢) وقد بيّن عمرو كبر سنّه بقوله :

كبرتُ وفارقني الاقربونَ وأيفنتِ النفسُ ألّا خُلودا

ويظهر من شعر ابن قميئة انّهُ عمّر تسعين سنةً فقال لمّا بلغها (٣ : ٩ ، ١٤ ، ١٥) :

كأنّي وقد جاوزتُ تسعين حِجّةً خلعتُ بها يومًا عِذارَ لِجامي
وأفنى وما أفني من الدهر ليلةً وما يُفني ما أفنيتُ سبكُ نِظامِ

١) مهذّب كأنّ لهُ هُلبًا من هدبيه والهدب الذي يتدلّى ويدفو مثل هُدب القطيفة (شرح الديوان)

وأعطكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ وتأميلُ عامٍ بعدَ ذاكَ وعامِ

وقال ايضاً في هذا المعنى (٩ : ٤):

جَزَعًا منكَ يا بنَ سعدٍ وقد أخلقَ م منك المشيبُ ثوبَ الشَّبابِ

اقول انهُ يصعب القبول بانَّ شيخاً بلغ التسعين من عمرهِ يقدُم على السفر برًّا من بلاد العرب الى القسطنطينية في غير أدب ولا مطلب ولا معرفة سابقة بامرئ القيس مع ما كان يعترضهُ في طريقهِ من الصعوبات والمخاطر في اجتياز الدرب درب قيليقية . ولهذا نرى ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء يذكر انه خدم اولًا حُجرًا ابا امرئ القيس ثم رافق ابنهُ في سفرهِ . ويقول انَّ اياه عنى امرؤ القيس بقوله:

بكى صاحبي لمَّا رأى الدربَ دونهُ وأيقنَ أنَّا لاحقان بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينك انما نحاول ملكًا او نموت فنعذرا

الَّا ان وجوده عند حُجر ليس يثبت عند «السر ليال» . على انهُ اذا قبلنا بسفر ابن قيئة مع امرئ القيس يلزم القول بانهُ لم يكن بلغ من العمر ما ادَّعاهُ او ما ذُكر عنه . لانه من المقرَّر ان العرب قديماً وحديثاً كانوا لا يعلمون اعمارهم بالتدقيق . فاذا حلَّ بهم الشيب وإن غير طاعنين بالسنّ تسعهم ينسبون لذواتهم ولمن شاب منهم عمرًا فوق ما هو بالحقيقة

وقد بيَّن العلامة ليال في مقدمتهِ ان الشاعر المشهور مرقش الاكبر كان عمّه او أحد اجدادهِ وان مرقش الاصغر وطَرَفة بن عبدَة وشبر بن عمرو بن مرثد كانوا من ذوي قرابتهِ وميمون الاعشى ايضاً . ولذا ترى في اشعارهم بعض التشابه واستعمال بعض العبارات وطُرق التعبير . وهذا يتضح من المقابلة . قال ابن قيئة (١ : ١ ، ٢) :

خليليَّ لا تستعجلا ان تَروَّدا وان تجمعا شملي وتنتظرا غدا
فما لبثُ يومًا سابقِ متنمٍ ولا سُرعتي يومًا بسابقةِ الرَّدا

وكان قال مرقش الاكبر (المفضليات ٤٥٨) بالمعنى ذاته :

يا صاحبيَّ تلوَّما لا تعجلا إنَّ الرحيلَ رَهينُ أن لا تَعذُلا
فلعلَّ بطأكما يُفرِّط سيئًا أو يَسبقُ الاسراع سَيبًا مُقبلا

فترى ان المعنى هو ذاتهُ وان اختلف اللفظ . وقال ابن قيئة (٢ : ١١) : « بودِّك

ما قومي على ان تركتهم » وهذا اخذه من قول مرقش (المفضليات ٤٧٦) : بودك ما قومي على ان هجرتهم (١ وقال ابن قميئة (٤ : ٤):

لا تغبطِ المرءَ ان يُقال لهُ أسى فلانٌ لعمرو حَكَما

اخذه من قول مرقش المفضليات ٩٣ : ٤):

يأتي الشبابُ الاقورَ من ولا تغبط اخاك ان يُقال حَكَمْ

قال ابن قميئة (٦ : ٢):

هل ترى عيرها تجيز سراعاً كالعَدَوْلِيِّ راغباً من أوالِ

اخذه طرفة فقال في البيت الرابع من معلقته :

عَدَوْلِيَّةٍ او من سَفِينِ ابنِ يامنٍ يجورُ بها المَلّاحُ طَوْرًا ويهتدي

الى غير ذلك من التشابه والتقارب في المعنى وفي الالفاظ

وفي رأيي أنه ولو لم تكن قرابة بين ابن قميئة ومَن ذكرنا من ذوي قرباه لما امتنع الخلف منهم ان ينتحل ايضاً بعض ابيات او عبارات من شعر السلف . لان هذه كانت العادة عند جميع شعراء العرب في الجاهلية والاسلام . وقد بيّن الآمدي في كتاب الموازنة سرقات ابي تمام والبحتري . ان آداب العرب كانت تنحصر في انشاد القصائد فكان القوم يحفظونها غيباً كثيرًا او قليلًا . ومن ثم كان لا بدّ عند انشادهم ابيات احد الشعراء ان تخطر على ذاكرتهم ابيات لشاعر آخر راقت في عيونهم . فيمزجونها باللفظ والمعنى او بالمعنى فقط في القصيدة التي ينشدونها . خاصةً اذا وُجد اتفاق بين القصيدتين في البحر والقافية . هذا فضلًا عن ان الرواة وحافظي الاشعار كانوا على ممرّ الزمان يتصرّفون بالقصائد كيف شاؤوا واستحسنوا لانهم كانوا يعتبرون القصيدة كملكٍ للقبيلة او لقبائل العرب . وهذا هو احد اسباب اختلاف الروايات الشائع في الشعر العربي

ثم ان الشاعر كان كالمعلم في قومه والمربّي لهم والفاضل عنهم والخطيب المسموع

١) جاء في شرح المفضليات للانباري في تفسير اللفظة « بودك » في بيت مرقش « قال بودّكِ اي بشهوتك . . . قال وبودّكِ يحلفها بإلاهها الذي يحلفون به » فاختار العلّامة ليال هذا المعنى الاخير ونقلهُ الى الانكليزية فقال By thy God Wudd . وعندنا ان الاصحّ تفسير اللفظة « بودّكِ » اي اقسم بمحبتك كما نقول بحقك وبحياتك ولعمرك

الكلمة يمدح القوة والبسالة في ايام العرب المشهورة فيستفزّ الهمم ويشدّد العزائم . ويثني على الكرم في الشتاء والسنة المجدبة فيرفع شأن الضيافة ويحبّبها . ويحرّض على الاباء وأخذ الثار ورفض الدية في الترات فيُطاع . فيتغزل اشعاره الغادي والرائح والمالك والسوقة والشريف والحقير والكبير والصغير ويترنمون بها في الحضر والسفر فلا عجب اذا كانوا يزيدون فيها ويبدّلون في الالفاظ وترتيب الابيات . وهذا هو السبب او احد الاسباب لعدم ارتباط المعنى غالبا بين الابيات في القصيدة ذاتها

ولنا دليل في التقائض على الزيادات في القصائد . فاذا طالعت قصيدتين من التقائض لجرير والاخطل مثلاً ولا يخفى انهما من قبيلتين متعاديتين فلا يمكنك ان تعرف ايّ النقيضتين أنشدت اولاً أنقيضة جرير ام نقيضة الاخطل لِما تجد في كلّ واحدة منهما من التلميح الى الاخرى . وهذا يؤيد قولنا ان شعراء العرب انتحلوا اشعار بعضهم وانهُ طرأ على القصائد تبديل وزيادات ادخلها الرواة وحافظو الاشعار ومُنشدوها . وقد يكون الشاعر ذاته صنع ذلك بعد سماعه قصيدة خصمه او شاعر آخر استحسن شعره . مثال ذلك : قال جرير في نقيضته يهجو الاخطل وبني تغلب :

والطاعنون على العياء ان ظعنوا والسائلون بظهر الغيب ما الخبرُ
والآكلون خبيثَ الزادِ وحدَهمُ والنازلونَ اذا وارامهمُ الحَسَرُ

قال ابو تمام شارح نقائض جرير والاخطل « المصراع الاول للاخطل » قلتُ بل اخذ جرير بيتاً كاملاً للاخطل وضمّنهُ بيتين من نقيضته . وبيت الاخطل الذي يهجو بهِ جريرًا وبني كُليب هو :

الآكلون خبيثَ الزادِ وحدهمُ والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

ويمكننا ان نأتي بامثلة كثيرة تأييدًا لقولنا . فنكتفي بدليل ورد في شعر ابن قميئة . فمن المقابلة بين قصيدته الاولى وقد سبق لنا ذكرُ مطلعها « خليليَّ لا تستعجلا » والقصيدة التي نسبها الى الحُصين بن الحُمام او عُبيدة عن ابي عمرو الشيباني (الاغاني ١٢ : ١٢٦) ومطلعها هو ذاته ومن وجود ابيات فيهما لا تختلف البتة او لا تختلف الّا اختلافاً طفيفاً استنتج السرّ ليسال ان الحصين بن الحمام (وهو احدث عهدًا من عمرو بن قميئة بنحو مائة سنة) انتحل ابيات ابن قميئة . هذا ان صحّ انّ القصيدة المنسوبة الى الحصين هي حقيقةً لهُ

وقد ذكر العلّامة ليال في مقدّمته ان النسخة التي اخذ عنها ديوان بن قميئة هي نسخة خطّيّة مصونة في مكتبة جامع السلطان الفاتح في الاستانة ومرسومة بالعدد ٥٣٠٣ وهذه النسخة تحتوي عدّة آثار مسطّرة بخطّ جليّ واضح صحيح العبارة والشكل . فالاثر الاوّل من هذه المجموعة هو كتاب التنبيه والتعريف في صفة الخريف . كُتب في مدينة حلب الشهباء في شهر رجب من السنة ٦٠٣ الموافقة للسنة المسيحية ١٢٠٧ . والاثر الثاني هو ديوان عمرو بن قميئة في ٢٣ صفحة . ولا يبعد ان كتابة سائر آثار هذه المجموعة كانت في وقتٍ واحد

وقد ذكر السرّ ليال ان بعض قصائد عمرو وبعض قطع من شعره تُروى ايضاً لهُ في مؤلفات اخرى مثل نسخة المفضليات المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني ونسخة كتاب الاختيارين الموجودة في خزانة كتب إنديا اوفيس بلندن . وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وكتاب الحماسة للتبريزي . اما القصائد الخامسة والسابعة والثامنة فلا يظهر انها رُويت في غير الديوان . وقد اثبت السرّ ليال في الملحق بعض قطع شعر نُسبت لابن قميئة اقتطفها خاصّة من حماسة البحتري وكتاب الحيوان للجاحظ يبلغ مجموع عددها ١٩ بيتاً

كانت وفاة عمرو بن قميئة بين السنة ٥٣٠ والسنة ٥٤٠ بعد المسيح على تقدير ان ابن قميئة رافق امرأ القيس في سفره وان سفره كان بين هاتين السنتين حسبما ارتأى العلّامة نولدكه

واذا حكمنا بما وصل الينا من شعر ابن قميئة قُلنا انهُ من الشعراء المُقلّين . اما اذا نظرنا الى ما قالهُ عنهُ الاصمعي انهُ شاعر فحل والشاعر الفحل عنده من نظم كثيراً من القصائد الحسان قلنا انهُ من المكثرين . وهو من ذوي الذوق السليم . فترى شعره خالياً من الحشو والتكلّف وفي عفافٍ من الفحش ليس بالموجز المخلّ ولا الطويل المملّ . ومما يحسن الاشارة اليه انهُ قلّما يرد في كلامه من الالفاظ الغريبة الوحشية وهي متوفّرة في قصائد غيره من شعراء الجاهلية . قال صاحب الاغاني (١٠ : ١٥٦) : «قال رؤبة كان الطرمّاح والكُميت يصيران اليّ فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به فأراهُ بعدُ في اشعارهما»

فنمحض خالص شكرنا العلّامة السرّ ليال الذي لا يزال ينتقي درر الاشعار

المكونة في اصدافها يتحف بها فريق العلماء. ويستخرج عقود القصائد من خزائنها يقلّد بها اعناق الادباء. جازاه الله عن اتعابه ونفع به المعارف والعلوم الشرقية

كتاب الكتّاب لدوبه درسنويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الاوّل

هذا باب الهمز وفصوله

١ شروط الهمزة ومعرفة لفظها

اعلم انّ الهمزة حرفٌ لا صورةَ لهُ في الخطّ وانّما يُكتب على صورة حروف (6ᵃ) اللين لأنّ في النُطق بالهمزة مشقّة فهي تُلين في اللّفظ فيُنحى بها نحوُ حروف اللين وتُبدَل وتُحذف كما يُفعَل بحروف اللين فصارت كأنّها منها وكُتبت بصورها اذ لم تكن لها صورة. وهذا الباب شبيه بباب البدَل غير انّ الهمزة جنس على حياله مطّردٌ على قياسه فافردنا لهُ باباً لذلك

والهمزة تكون في اوّل الكلمة وفي وسَطها وفي آخرها ولكلّ من ذلك حالٌ سيوقَف عليها ان شاء الله. وقياس الهمزة ان يكون كتابُها على قياس تخفيفها في اللفظ الّا ان يَعرض لها مانعٌ من ذلك او يكون تخفيفها في اللفظ عارضاً فيها غير لازم لها وسترى في اللفظ ذلك ان شاء الله

٢ الهمزة المبتدأة الواقعة أوّلًا

والهمزة الواقعة اوّلًا لا تكون الّا متحرّكة مخفّفة(١ لا يلحقها في اللفظ حَذف ولا

١) في الاصل محفّقة وظنّه تصحيفاً

بدَل ولا تَليين الّا عرَضاً فالواجب اثباتُها في الكتاب على صورة الالف بايّ حركةٍ تحرّكت وفي أيّ كلمةٍ وقعت (٢٦) اصليةً كانت او مُبدَلة او زائدة او حرف وصل او قطع وذلك مثل أمَل ابل أحد اقْعُدْ اِجلِسْ (١ أعطني اِسْمك اِساءة اِخْوَة

وانّما كانت صورة الالف بهذه الهمزات أولى لانّ الالف والهمزة يشتركان في المخرج ويتضارعان في الجرْس ولم تكن قبلهنّ همزة توجب تغييرها مع انّ الالف اخفُّ حروف اللين لفظاً وقد يُستخفُّ في الكتاب ما يُستخفُّ في الكلام. وسترى ذلك في مواضعه ان شاء الله

٣ المبتدأة الواقعة بعد همزةٍ من كلمة أخرى

وان وقعت احدى هذه الكلمات بعد همزٍ من كلمة أخرى لم يجب تغيير عن صورة الالف ولم يجُز ان يُنحى بها في الخط نحو تخفيفها في اللفظ لانّ الهمزة التي لَحقتها عارضةٌ تفارقها ولا يازمها ذلك التخفيف فاصلها أولى بها اذا كانت منفصلةً عمّا قبلها في اللفظ والمعنى ولانّ الكلمة انّما يوضع هجاؤها على حِيالها موقوفاً عليها ولا تُحمَل على ما قبلها ولا ما بعدها وذلك مثل : قرأَ إذا زُلزلت (٢ وبدأَ أولئك. فافهم ذلك ان شاء الله (٢٦)

٤ المبتدأة المقطوعة بعد همزة الاستفهام

فان وقعت بعد همزة لا تنفصل كحرف الاستفهام وكانت همزة قَطع ثبتت في الكتاب على حالتها ولم يجُز حذفُها ولا حملُها على تخفيف اللفظ لئلّا تكون كألف الوصل وان لا يلتبس الاستفهام بالخبر وليُفرَق بين صورة الهمزتين اذا خُفّفتا في كلمة « كالأئمّة » « وانا أوّلُ » وبين(٣ مخفّفتين في كلمتين وذلك مثل قوله عزّ وجلّ» : « أأنتم أشدُّ خَلقاً (٤ » و « أإذا مُتنا (٥ » و « أأكرمُكَ ام تُكرمني ». وهي في الفعل المضارع اثبت لأنّها حروفُ المضارعة فتغييرُها يزيل معناها. ومع هذا انّ العرب قد زادوا في لفظ هاتين الهمزتين مَدّة استثقلوهما مجموعتين حرصاً على اثباتهما مع الفرق بين الاستفهام والخبر فمنهُ قول ذي الرُّمّة :

---

١) في الاصل : إجْلِس وهو غلط ٢) اي قرأ سورة الزلزلة

٣) في الاصل : بينهما ٤) سورة الصافات ٢٧ ٥) سورة المؤمنين ٤

فيا ظَبْيَةَ الوعساء بين جُلاجلٍ وبين النَّقا آأنتِ أمْ أمُّ سالمِ

وهذه الالف المزيدة بينهما في اللفظ لا تثبت معهما في الكتاب لاجتماع الاشباه (٣٨)

٥ المبتدأة الموصولة الواقعة بعد همزة الاستفهام

فان كانت الف الوصل أُسقِطَت من الكتاب كما تُسقَط من اللفظ لمجيء حرف الاستفهام وضَعُف الف الوصل لا يلتبس الاستفهام باخبر ههنا لانفتاح همزة الاستفهام وأنّ الف الوصل لا تكون مفتوحةً الّا في بعض المواضع ولانّ اجتماع المثلين مستثقَل فمن ذلك قول الله جلّ وعزّ (١ : « أتّخذناهم سِخريّاً أم زاغت عنهم الابصارُ » وقوله : أطّلَعَ (٢ . وقولك : أبنُك هذا أم اخوك . وقولك : أسمُكَ أحسن ام كُنيَتُك . ومن ذلك قول ذي الرُّمّة :

أستَحدَثَ الرَّكبُ عن أشياعِهم خَبَرًا ام راجَعَ القلبَ من أطرابِهِ طَرَبُ

ويجري الف لام التعريف هذا المجرى وان كانت مفتوحةً لانها الف وصل ومعها لام وصورتها واحدة وهي أكثر استعمالًا من سائر ألِفات الوصل وانّما فُتحت لكثرة استعمالها واصلُها الكسر وذلك مثل قول الله جلّ ذكرُهُ (٣ : « آللهُ أذِنَ لكم » وقوله (٤ : « آلآن وقد (٣٨) عصَيتَ قبلُ » . وقد فُتحت الف الوصل في القَسَم ايضاً لكثرته في الكلام وذلك كقولهم : « أيمُ اللهِ » بالفتح والكسر . و « أيمُنُ اللهِ » بالفتح لا غير . ويدلُّكَ على انّ الف أيمن الفُ وصل قولُ الشاعر :

فقال فريقُ القوم لمّا نشدتُهم نَعَمْ وفريقٌ لَيْمُنُ اللهِ ما ندري

كأنّهُ قال لَعَمْرُ اللهِ كذلك يقولون : « لَيمُ اللهِ » فانّما دخلت الف الوصل على أيم كما دخلتْ على أسم وأبن وغيرهما من الاسماء المنقوصة الاواخر وأُجري أيمُنُ مجرى أيمُ . ويجب حذف هذه الالف مع همزة الاستفهام في الكتاب على ما فسّرنا . وهذه سبيل ما اطّرد من هذا الباب . وقد شذّت منهُ كلمات تُذكَر في مواضعها ان شاء الله

٦ وقوع الهمزة وسطاً

وامّا الهمزة المتوسّطة فتكون متحرّكة بجميع الحركات ومتحرّكاً ما قبلها .

١) سورة ص ٦٣ ٢) سورة مريم ٨١ ٣) سورة يونس ٦٠ ٤) فيها ٩١

وساكنة وساكناً ما قبلها ويلزمها في كلّ ذلك في اللفظ التخفيف والبدل والوجهُ حملُها في الكتاب على تخفيف اللفظ الّا ان يمنع عن ذلك مانع

٧ المتوسّطة المفتوحة بعد متحرّك

فاذا انفتحت المتوسّطة وتحرّك ما قبلها كُتبت على صورة الحرف الذي منهُ حركة ما قبلها اتباعاً لتخفيف اللفظ وذلك مثل «التُؤَدة والفِئَة والشَأم. والله يُؤَيد بنصره من يشاء. وهو يؤَملك. وانت تؤَمّل للشدائد» (٣٠)

٨ المتوسّطة المتحرّكة بغير الفتحة بعد حرف متحرّك

واذا تحرّكت بغير الفتحة وتحرّك ما قبلها كُتبت على صورة الحرف الذي منهُ حركتها نقلُها للعلّة التي قدّمنا من اتباع تخفيف اللفظ وذلك مثل الذُئِل والتُؤَدة وسَئِمَ ولَؤُمَ

٩ المتوسّطة المتحرّكة بايّ حركةٍ كانت بعد ساكن

واذا تحرّكت المتوسّطة وما قبلها ساكن فعند الكتّاب في كِتابها وجهان: احدهما إثباتها على حركتها نقلها وذلك لانّ من العرب من يُبدل من هذه الهمزة في اللفظ حرف لين خالصاً وينقُل حركتها الى الساكن قبلها تخفيفاً كقولهم في يَسأَلُ «يَسَالُ» مثل يخافُ وفي يَزئِرُ «يَزيرُ» مثل يَميلُ وفي يَلؤُمُ «يَلُومُ» مثل يَقُوم. وليس ذلك عندنا بالاختيار ولا وجه القياس وانما هو لُغةٌ من يُبدِل منها الفاً أيضاً اذا تحرّك ما قبلها فيقول (٣٩) في سَئِمَ «سَامَ» مثل خافَ وفي زَأَرَ «زارَ» مثل مالَ وفي لَؤُمَ «لَامَ» مثل قامَ ومن ذلك قول حسّان بن ثابت:

سالَتْ هُذَيْلٌ رسولَ الله فاحِشَةً ضلّتْ هذيلٌ بما سالَتْ ولم تُصِبِ

وقول الفرزدق:

راحتْ بمَسْلَمَةَ البغالُ عشيّةً فارْعَيْ فِزَارَةَ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

وانّما نتّبع الفصاحةَ والقياسَ ونختارُ الاجود فنثبتها لِمَهُ اثباتُها في الفعل الماضي ايضاً على إبدالها في هذه اللغة فيصير حكمُ ما سَكنَ ما قبلَهُ وما تحرّك ما

قبلَهُ حكماً واحدًا فيُكتب سَئِمَ «سَامَ» ولؤم «لَامَ» باثبات الالف وليس ذلك بالصواب ولا المستعمل. والوجه الآخر حذفُها من الكتاب لانَّ سائر العرب الفصحاء يحذفونها من اللفظ ايضاً اذ خفّفوها وينقلون حركتها الى ما قبلها كقولهم «يَرَى» وانّما هو في الأصل يَرْءَى (١ ألا ترى انَّ ماضيهُ رَأَى. كقولهم «مَلَكٌ» وانّما هو في الأصل مَلأَكٌ ألا ترى انَّ جمعهُ مَلَائِكٌ وقد ردّهُ علقمة الى الاصل فقال:

فلستُ لإنسيٍّ ولكن لِمَلأَكٍ تنزّل من جوِّ السماء يَصُوبُ

(٥ ١٠) فكان أتباع تخفيف اللفظ فيها عند كاتبها أقيسَ وأجود فيكتب يسَل ويلُم وقد اَسْئَرَ يُسْئِرُ اسْئَارًا من الشُّؤر وفاعلهُ مُسْئِرٌ وقد استلأمَ فهو يَستلئِمُ من اللَّأمة وهي السلاح فاعلهُ مُسْتَلْئِمٌ ومفعولهُ مُسْتَلْئَمٌ وهو الشَّمْل والهَمْج والافئس والارءس جمع رأس وهو أئتم منهُ وأئثم من اللؤم والشؤم(١ ونحو ذلك في كلّهِ حذف الهمزة والاقتصار منها على الشكل وهو الاختيار عندنا الّا ان يكون الساكن الذي قبل الهمزة الفاً في مثل سائل ومسائل وهو يُسائِل فتثبت في الكتاب كما يثبت في اللفظ ولا يُحذف التخفيف. وقد اثبت هذه الهمزة قومٌ الفاً بعد الكسرة والفتحة والضمّة تشبيهاً لها بالهمزة المبتدأة وهو مذهب بعض اجلّة هذا الشأن. وقد أساء القياس مَن فعل ذلك وخالف الصواب لانَّ هذه لا تشبه الهمزة المبتدأة اذ كان الحذف والبدل في حذف اللفظ لها لازمَين لكون ما قبلها وانها وما قبلها من كلمة واحدة. والمبتدأة لا يلزمها ذلك اذ كانت وما يدخل عليها من كلمتين ولو كان سكون ما قبلها يجعلها كالمبتدأة لكان سكون ما قبل المتطرفة (٥ ١٠) ايضاً يجعلها كذلك ولَلَزِمَهُ ان يُثبت تلك ايضاً الفاً على كل حال مع الحركات كلّها في مثل الجُزْء والدِّفْء والخِبْء. وهذا لا يقوله احد من النحويين

١) هكذا يكتب ابن درستويه الهمزة بعد الساكن والجاري اليوم عند اللغويين ان تُكتب الهمزة المتحرّكة في الوسط بعد الساكن بصورة الحرف المجانس لحركتها نحو يَرْأى (اصل يرى) ويسأل ويَلْؤم وأسأر والشَّمْأل والأفْؤس والأرْؤس وألأم وأشأم الخ

١٠. المتوسّطة الساكنة بعد حرف متحرّك

واذا سكنت المتوسّطة وهي متحرّك ما قبلها فيجب اثباتها على صورة الحرف الذي منهُ حركة ما قبلها اتباعاً لتخفيف اللفظ لأنّها اذا خُفّفت أُبدِل منها ذلك الحرف خالصاً وذلك مثلُ « كأْس ورِئم وسُؤر ويَأْمل ويُؤْمن » ومثل « انتَثَرَ انْتَثَرَ انْتَثَرَ زيدٌ عمرًا أُوْتُبِنَ فلان ». فاذا لم تُسمِع فاعلهُ على لُغة من لم يَبدل من الهمز ولم يُدْغِم لانَّ الف الوصل وحروف المضارعة حذفت هذه الافعال وقد سكنت اوائلها فصارت متوسطة ساكنة

١١ وقوع الهمز طَرَفاً

وامّا الهمزة المتطرّفة فحكمُها حكم الساكن لأنّها في موضع الوقف (٣٤) من الكلمة ولا يلزمها حركة ما وُقف عليها وان أُدرجت اختلف عليهـا حركة الاعراب ايضاً ولَحِقَها الجَزْم. والهجاء موضوعٌ على الوقف وهـذه الهمزة يكون ما قبلها متحركاً وساكناً

١٢ المتطرّفة المتحرّكُ ما قبلَها غيرُ المتّصلة بما بعدها

فاذا تحرّك ما قبلَها كُتبت على صورة الحرف الذي منهُ حركة ما قبلها لأنها اذا خُفّفت في اللفظ موقوفاً عليها تُحي بها ذلك النحو وذلك قولك : « التهيُّ والتواطُؤ والأكمُؤ وهو يتّكئ ويستهزئ والخطأ والنبأ وهو يَقرَأ ويتوضأ وقد مَرُؤَ ورَدُؤَ ». ومثل المجزوم كقولك « لم يقرَأ ولم يتّكئ ولم يَرْزَأ ». والامر : « إقرَأ يا هذا واتّكئ وارْزَأ ». ومنـهُ : هذا امْرُؤ القيس ورأيتُ امْرَأَ القيس ومررتُ بامْرِئِ القيس »

١٣ المتطرّفة المتحرّك ما قبلها المتّصلة بما بعدها من علامة ضمير او تثنية او جمع أو تأنيث

فان اتّصلت بعلامة ضمير او تثنية او جمع تأنيث أُجريَت في الكتاب مجرى

(١١) نظائرها المتوسطة في حملها على تخفيف اللفظ لانّ الوقف عليها قد زال منها بما لحقها وتوسطت فوجب اثباتها مفتوحةً على حركة ما قبلها. وذلك نحو « كرهتُ خطأَكَ وتواطؤَهما ورأيتُ مُقرئكَ وهما مُقرئانِ والمُبرِئانِ والمُستهزِئانِ وهما يَقرَءانِ ويُقرِءانِ » في التثنية ذُكر الفاعل او لم يُذكر بالف واحدة لاجتماع الاشباه. « وهنّ مُخطِئاتٌ ومُستهزِئاتٌ ومَقرُوآتٌ ورأيتُ المُقرِئينَ والمُستهزِئينَ والمُخطِئينَ » بيائين لا يُحذف ههنا احد المثلين لئلّا يلتبس بالجمع « وهمُ القَرَأَةُ وهي اللُّؤلُؤةُ والتَّهيِئةُ » واثباتها غيرَ مفتوحة على حركتها نفسها مثل « هذا اكمُؤكَ وهذا خطؤُهُ ونَبؤُهُ (١ وعجبٌ من اكمُئكَ وخطئِكَ ومن تواطُئِها ومررتُ بمُقرِئكَ نفسِهِ وهم المُقرِءون والمستهزِءون » للجماعة بواو واحدة لاجتماع الاشباه « ومررتُ بالمُقرِءين ورأيتُ المُستهزِءينَ بياء واحدة لاجتماع المثلين وللفرق بينهُ وبين التثنية « وهؤلاء مُقرِؤوكَ » بواوين لئلّا يشبه الواحد « ومررتُ بمُقرِئيكَ كلهم ورأيتُ مُقرِئيكَ كلَّهم » بيائين لئلّا يلتبس بالواحد ويُفصل بينهم وبين الاثنين بالشكل وكلّ ما التبس لم يجُز حذفهُ وان اجتمعت فيه الاشباه. فهذا قياسُ هذا الضرب(١٢)

١٤ المتطرّفة الساكن ما قبلها المتصلة بما بعدها

واذا وقعت بعد ساكن حُذفت من الكتاب على كل حال لسقوطها من اللفظ في التخفيف اذا وُقف عليها لالتقاء الساكنين في الوقف وذلك مثل « المَرء والجُزء والدِّفء والخِبء والشَّيء والنَّوء . وهو يَجِيء ويَسُوء ومَقرُوء ومَشنُوء والهَنيء والمَرِيء والسُّوء». لأن ما وقع بعد حرف اللين ان حُذف في اللفظ أبدل منهُ الحرف الذي قبلهُ ثمّ أُدغم فيهِ والمُدغَم لا يُكتَب الّا حرفاً واحداً وكذلك لو حُذف تخفيفاً

١٥ المتطرّفة الساكنُ ما قبلها المتصلّة بما بعدها من علامة ضمير او تثنية او جمع او تأنيث

ان لحقها علامة ضمير او جمع او تثنية او تأنيث فكذلك هي لا تثبت في الكتاب لأنها وان اتّصلت بما بعدها فليس تخفيفها في اللفظ الّا كتخفيفها قبل ذلك

(١) والجاري في يومنا بين النحويين خطأُهُ ونبأُهُ كأنّ الهمزة متطرّفة

ولم يعرض لها مـا يعرض للمتوسّطة في الفعل الجاري عليهِ ما تصرّف (٤٢) منهُ . على انَّ حذف تلك ايضاً صوابٌ كما بيّنّا ولا يجوز اجراء هذه مجرى ما وقع بعد الالف لانهُ لا يجوز حذف ذلك من اللفظ للتخفيف ولا ادغامهُ اذ كانت الالف لا تتحرّك فيلقى عليها حركتها وتحذف ولا يُدغم فيها شيءٌ . فاتّباع القياس في هذه أولى اذ لم يمنع منهُ مانع مثـل « هذا جُزاكَ ورأيتُ جُزاكَ وهو شَيْنُهُ وتَوْءَهُ وهما جُزْءان وهو دَفْسانُ وهي التَرِبَة والكَسْئة والهَيْئة والشَرِئة وهَيِئون مَريئون ومُشْئِون رُسُؤوا يا هؤلاء وجيئوا» فهذا قياس جميع ابواب الهمز وان كان قد شذَّ منهُ شيءٌ فقد دللنا عنهُ يا بيّناهُ او ذكرناهُ فيما بعـد فامّا ساء وشاء ونحوهما من المهموز فيأتي في باب المدود مستقصًى ان شاء الله (لهُ بقيّة)

اعظم طامّة في الحرب العامة

نظر اجمالي في الحرب الاوربيّة الاخيرة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

القسم الثاني: الدُّول الاتفاقيّة

تبيَّن للقرّاء من مقالتنا السابقة ما حشدتهُ المانية من القوى والجيوش الطاحنة . ما اعدّتهُ من العُدَد والادوات القاتلة الساحقة . ما اخترعتهُ من ضروب الخراب وفنون الدَّمار . ما نفختهُ في قلوب ابنائها من الثقة بالنصر القريب والفوز النهائي حتى اضحى اعتقاد الالمان للظفر بمثابة آية منزلة لا يجوز الشكُّ فيها فساقت الدولة الالمانيـة الى مناقع الدم اهل ثلث دول اشربتهم روحها

فدَعْنا الآن نوجّه النظر الى خصومها من ارباب دول الاتفاق لنتقفّى آثارها ونطّلع على مسيرها في هذه الحرب الى حين انتصارها من ذاك الجبّار الطاغي

١ فرنسة

بها نفتتح كلامنا وهي بيت القصيد . قامت في هذا البراز العظيم قِرناً لالمانيـة اهلًا بها . كان الالمـان يصوّرون فرنسة كعودٍ نَخِرٍ تكفيهِ صدمةٌ واحدة ليتناثر

كالهباء امام جنودها . واذا هي قُطب الدول الاتفاقية قامت في وجه اعدائها ببسالة لا مثيل لها في كل ميادين الوغى . اضحت فرنسة محور الدفاع عن عالم التمدُّن في ثلاثة اقطار الدنيا تتصدَّى لمعارضيها حيثما ناوَوْها في آسية وافريقية كما في ساحات اوروبة . صبرت نيفاً واربع سنوات على اهوال الحرب ريثما تكلَّلت هامتُها بالانتصار التامّ

كانت الحرب في العشر الثالث من تمُّوز ١٩١٤ على قاب قوسين من فرنسة ومعظم اهلها لا يحسبون لها حساباً ورئيس جمهوريتها يتجوَّل بعيداً عنها . واذا بالعدوّ يتهدَّد تخومها من حيث لا تنتظره لزعمها انهُ ذو شرف يحترم الحدود المبرمة مع الدول الكبرى بخصوص بلجيكة بألَّا ينتهك حماها . فنكث بوعده بكل قحة وفظاظة

فنهضت فرنسة نهضة الرجل الواحد ولم تشأ نفوس اهلها الابيَّة الاغضاء على الضَّيم بل نسيت احزابها ما بينهم من النزاع واسرعوا الى الدفع عن تخومهم الشماليَّة ولولا انَّ البلجيكيين اوقفوا الالمان اياماً بسدّ طرق بلادهم في وجههم لكان الخطبُ جلَلاً . فامكن الفرنسيس ان يحشدوا ثغورهم بكل سرعة ويتأهَّبوا للقتال . وقد مرَّ ذكر ما جرى بينهم وبين العدوّ من المعارك التي فاز بها الالمان اولاً لشدَّة زحفتهم ثمَّ رُدُّوا بالخيبة ناكصين عند نهر المارن في ١٠ ايلول بانتصار الفرنسويين عليهم انتصاراً باهراً ثمَّ تكرَّر نصرهم مع البلجيكيين عند نهر ايزر ثمَّ عند مدينة ايپر في تشرين الاوَّل والثاني

فخمدت لظى الحرب حيناً في فرنسة لكنَّ العدوَّ كان احتلَّ قسماً كبيراً من ايالاتها الشمالية وأفقدها معاملها الصناعية التي فيها تُستحضر الذخائر الحربية . على انَّ الفرنسويَّ متوقد الذهن كثير الحيل لا تثنيه عزمهُ العقبات الكؤود . فجمع ارباب الامر اصحاب المعامل الباقية وغيرهم من الصنَّاع واقترحوا عليهم انشاء مصانع جديدة فاجابوا بطيب القلب وباسابيع قليلة انجزوا العمل واخذوا يمدّون الجيوش الفرنسويَّة بكل ما يحتاجون اليهِ من ذخائر الحرب بعُدَدها المختلفة اللازمة للدفاع والهجوم والطَّيران وكشف حركات العدوّ . واذ كان عدد كبير من الصنعة في سلك الجنديَّة جعلت النساء يقُمْنَ مقامهم في كل اشغالهم حتى ان الذخائر الحربيَّة بلغت في السنة ١٩١٦ ثلاثين ضعفاً عمَّا كانت عليهِ في ١٩١٤

ولم يقتصر الفرنسويون على تموين جيوشهم بهذه الذخائر بل شرعوا بنقلها الى

حلفائهم بكل سخاء. فأرسلوا منها الكميّات الوافرة الى روسيّة وايطالية وصربيّة ورومانية وانشأوا في تلك البلاد المعامل فعلّموهم استحضار تلك الذخائر مع ما نقلوا اليهم من الفحم الحجري والفولاذ والالومينيوم والموادّ الكيموية وباقي الحاجات. وقد حسبوا ما أرسلت فرنسة الى روسيّة من ادوات الحرب فكان يبلغ حجمهُ كل شهر ٣٠,٠٠٠ متر مكعب وثقلهُ ١٦,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام

ومّما امتاز بهِ الفرنسويون في هذه الحرب حسن تنظيمهم للجيوش وتدبير قيادتهم على طرائق فنيّة عجيبة كان قوّاد الحرب يتقنونها اي اتقان. فعلّموها بين ضبّاطهم والضبّاط بين جنودهم فتلقّنوها وجروا بموجبها فكانت من اعظم الوسائط لانتصارهم على الالمان. وكان كبار الرؤساء قد وضعوا كتاباً جمعوا فيه كل التعليمات اللازمة لكافة الجنود بالاختصار والوضوح التامّ لا يقلّ عن ٥٠ صفحة وأعجب هذا التدريب بقيّة الحلفاء حتى ان كثيرين منهم طلبوا ضبّاطاً فرنسويين لتمرين عساكرهم او لاعادة تنظيمهم بعد كسرتهم وهكذا تمّ الامر مع البلجكيين والصرب والرومان واليونان والايطاليين حتى الانكليز والاميركيين فانهم كلّهم استمدّوا من معارف الفرنسويين بآداب الحرب. وكان في جيوش البولونيين وجيوش العرب في ما وراء الاردن ضبّاط من الفرنسويين يساعدونهم وينظّمون حركاتهم

وقد ظهر نشاط الفرنسويين في فضاء الجوّ كما ظهر في ساحات القتال وكانت طيّاراتهم في أول الحرب مجهزة بمحرّكات قوّتها ١٣٠ حصاناً بخاريًّا فقط تقطع في الساعة ١٠٠ كيلومتر وهي خالية من المترالیوز فبعد قليل حسّنوها كثيراً فجهّزوها بمدفّة رشّاشات ومترالیوز وجعلوا فيها المحرّكات ذات قوّة ٣٠٠ حصان فكّنوها من قطع ٢٠٠ كيلومتر في الساعة. وكان المتطوّعون الطالبون الطيران قد زاد عددهم من واحد الى ثلثين ضعفاً حتّى رُدّت مطالب كثيرين. وهذه الطيّارات قد ادّت خدماً لا تُحصى وفاقت على ادوات الطيران الالمانيّة بنظامها وسرعة حركاتها وكشفها عن كل اسرار العدوّ وضربها الضربات المؤلمة. وقد اخترع لها العلماء أدوات خاصّة بقي سرّها مجهولًا عند الالمان. وقد اشتهر بآثره الجويّة غويينمر (Guynemer) الذي صار المثل يُضرب بحذاقته وبطشه بالعدوّ حتى انّهم اخذوا يُلحقون اسمهُ باسم الابطال كنيّار وجان درك وتوران

ومما أقرّ به كلّ شهود هذه الحروب الهائلة حتّى الاعداء منهم انّ الجنود الفرنساويّة أبسل الجنود واربطها جأشاً في ساحات الوغى . وقد سمعنا احد كبار ضبّاط الالمان في بيروت مجيباً لمن اطرأ شجاعة الجنود الالمانيّة : « انّ السّبق في الشهامة والبسالة في الحرب الفرنسوي ثمّ بعده الالمانيّ » والحقّ يقال انّ الجنود الفرنسويّة أبلت احسن بلاء في كلّ أهوال هذه الحرب فاختبروا جميع ضروب الشدائد من جوع وعطش وبرد قارس تحت ظلّ السماء او في الخنادق المملوءة ماء ووحلاً وباقتحام اعداء اوفر عدداً واتمّ اهبةً مع صبر على جراحات أليمة وعلى أسفار ليالٍ دون راحة وكلّ ذلك بنشاط غريب وبساطة عجيبة حتى في ساعة النزاع والموت . وليس هذا الّا رجاء بالنصر وقياماً بالواجب نحو وطنهم سواء اثابهم رؤساؤهم بالاوسمة الحربيّة ام لا . وقد استوى في هذه الحماسة صغيرهم وكبيرهم وضعيفهم وشريفهم حتى من ترفّى بينهم على الدلال ورغد العيش فانهم كانوا يحاربون كالابطال او كما يقول اعداؤهم « كالابالسة » . وكان يزعم الالمان انّ الفرنسوي بعد بطشه يغشل سريعاً ويقنط لحدّة طباعه وقلّة جَلَدِه فساء فيه ظنّهم فصبر معظمهم على كل ويلات الحرب ٥٢ شهراً دون ان يتضعضع ركنهم او تصرعهم الشدائد

وقد فضّلوا على الالمان في رفقهم نحو الجرحى من اعدائهم ورقّة عاملوا المتكوبين منهم والأسرى بالحنان والرحمة . وكذلك لم يسيئوا مثلهم العمل نحو المتحايدين عن الحرب في البلاد التي يحتلّونها بل كانوا بالاجمال يعاملونهم بكل تؤدة وعدل . ولم يخربوا من الابنية العموميّة شيئاً كما فعل الالمان بالكنائس والقصور والمعاهد العموميّة والمصانع الّا ما كان محصّناً في وجههم يكمن فيه العدوّ

وافضلُ ما يقال للثناء على الفرنسويين جدول الصرعى والجرحى منهم في مدّة الحرب . بلغ عدد الجيوش الفرنسويّة الداخلة في الحرب من أوائل آب ١٩١٤ الى ١١ ت ٢ ١٩١٨ ٨٫٤١٠٫٠٠٠ رجال بينهم ١٩٥٫٩٠٠ ضابط و ٧٫٧٠٠٫٠٠٠ فرنسوي الجنس والباقون من المستعمرات الفرنسويّة والمتطوّعين الاجانب فبلغ عدد القتلى ١٫٣٥٥٫٠٠٠ يُضاف اليهم من مات من جراحه بعد الهدنة الى تاريخ ١ حزيران ١٩١٩ ٣٠٫٤٠٠ فيكون مجموع الموتى ١٫٣٨٥٫٤٠٠ منهم ٣٤٫٥٠٠ ضابط . والفرنسويّون منهم ١٫٢٥٢٫٦٠٠ والمستعمرون او المتطوّعون الاجانب ٢٥٫٦٠٠

فيكون معدّل الموتى من الجيوش الفرنسويّة اجمعها ١٦٫٢ بالمئة وبالنسبة الى اهل فرنسة كلها واحد من ٢٨ . اما الجرحى الذين دخلوا المستشفيات من الفرنسويين فبلغ عددهم ٤٬١٩٣٬٩٨١ لكنّ كثيرين جُرحوا مرارًا . وقد بلغ أسرى الفرنسويين ٤٨٥٬٠٠٠ فهذه الاعداد تنطق بجراة أبناء فرنسة وثباتهم في الحرب

وقد عادلت المانية فرنسة في عدد قتلاها وجرحاها دخل الحرب نحو ١٠٬٠٠٠٬٠٠٠ من الالمان فقُتل او فُقد منهم ٢٬٠٤٩٬٠٠٠ فمعدّل الموتى الى نسبة سكانها البالغين ٦٧٬٠٠٠٬٠٠٠ واحدٌ من ٣٥ بعدهما النسمة فقدت نحو مليون من صرعى الحرب بمعدل ١ في ٥٠ من سكانها البالغ عددهم ٤٩٬٠٠٠٬٠٠٠ فتأمّل بهذه الاحصاءات لتعرف ما دهم العالم من بوائق هذه الحرب الجهنّمية وغوائلها وقد وقعت على فرنسة خصوصاً اثقالها الباهظة . ولولا عناية الله الخاصّة وحسن تدبير قوّادها وأركان حربها مع تكاتف عموم اهلها وحميّة جنودها لسقطت فرنسة من مقامها وفقدت بسقوطها حرّية العالم المتمدّن

ولو اردنا تعداد المآثر الجليلة والاعمال السنيّة التي اتى بها ابطال فرنسة لاتّسع بنا المجال ومنذ بداية الحرب اخذ الكتبة البلغاء يخطّون بقالاتهم البعض من جلّة اولئك الكماة فردًا فردًا فرووا لهم من المفاخر ما كاد يُنسي مآثر القدماء كالمرشاليّة جوفر وفوش وبيتان وكاجترالية كستلنو وغاليايي وفاليول وفيغان ودوباييل ومونوري ولتريزاك وفرنشه دسبري وغورو ومودوي ومونجان وغيليوما وسرّاي وغيرهم كثيرون ممّن لم يُعرَف لهم قبلًا اسم شائع . فكلّ هؤلاء اظهروا بين معامع الحرب ما للفرنسويين من طيّب العنصر وشريف المغرس فقاموا بازاء قادة محنّكين جبابرة الوغى اجمعَ الالمان على مقدرتهم وقطعوا بنصرهم النهائي لا محالة بعد استعدادهم لهُ منذ سنين طويلة كاجترالية دي مولتك وفون كلوك وهندنبورغ وفون بلوف وفون بيهم واردندروف وفلكنهيم وفون درغلس وفون سندرس وفلكنبورغ . وولي العهد وغيرهم ممّن زمّر العالمُ الجرماني بذكرهم وطبّل فكان انتصار الفرنسويين منهم ابهر واسمى

ولم توجد قطّ فرنسة في مأزق اشدّ واخطر من مقامها الحربيّ في آذار من السنة ١٩١٨ الى اوائل تمّوز منها فانّ هبوط روسيّة وكسرة رومانية وفتح سربيّة

وفشل ايطالية كانت قوّت آمال المانية في الانتصار القريب اذ كانت تستطيع ان تسحب نحو مليونين من جنودها من جبهات الشرق لتضمّهم الى قوّاتها في الغرب. فهلّل الالمان فرحاً واستعدّوا لتلك الحملات التي لم يدوّن التاريخ مثلها في مدى الدهور فشنّوا في وقت واحد الغارات الشعواء على كل ساحات الوغى في ايار وحزيران اوّلاً ثمّ استأنفوها بعد ايام من الراحة في اواسط تمّوز فقطعوا نهر المارن وصوّبوا مدافعهم البعيدة المرمى على باريس حتى انّ كثيرين توهّموا انّ الامر قد قُضي بفتح عاصمة فرنسة واستعدّ الامبراطور غليوم لدخولها بأبهة الظفر

فهناك ظهرت حذاقة الجنرال فوش وبُعد نظره مع قوّاده وخصوصاً الجنرال غورو الذي حظينا بتقليده رئاسة قطرنا السوري. فانّ الجنرال غورو أخذ على نفسه وجيشه الصبر على معظم قوّات العدو وترك الالمان يتقدمون الى ما أخلوه من معسكرهم وهم يتباشرون بالنصر ويلتهبون به فما كان من فوش الّا انهُ دفع جيشَي مانجن وديفيت على جوانب عسكر فون بيهم في غاس اليوم ١٨ من تموز وهو سائر الى ضبط إپرني لا يحسب للفرنسويين حساباً. فانقلب دفاع الفرنسويين الى هجوم وبقوا الالمان بغتات افقدتهم رشدهم فتقهقروا الى شمال نهر المارن ثم الى شمال نهر الاين وفقدوا ٢٠،٠٠٠ اسير. فكان ذلك اليوم الميمون فاتحة انتصارات فوش وجيوشهِ فدخلوا سواسون وشاتو تيازي. ثم وصلت اليهم الجيوش الاميركيّة في ٣ آب فاكتسحوا كل مواقع العدو الى نهر ي واز وموز حتى انّ المسيو كليمنصو بادر الى تقليد الجنرال فوش رتبة مارشال في ٦ آب

وغنيّ عن البيان ما نالهُ من ذاك الحين من الفوز جيوش الاتفاقيين من فرنسيس وانكليز واميركيين اذ تناصروا بالهجوم المتتابع لم يدعوا فيه للعدو يوماً ليتلافى امرهُ وينظّم قواهُ فلحقوهم الى خطّهم الرئيسي المعروف بخط هندنبرغ وهم يزعمون انّهُ لا تعمل فيهِ قوّة بشريّة فلم يصدق ظنّهم وفي اوائل ايلول انكسرت هناك شوكتهم وكتب الاتفاقيون في بطون تواريخهم صفحةً من المجد لا شبيه لها في سالف الاعصار. ولم يقفوا عند ذلك الحدّ بل تابعوا هجومهم مدّة شهرين يتأثرون الالمان ويحتلّون ما يغادرونهُ من البلاد الى ان فقد الالمان آخر سهم في جعبتهم فأخلوا كل ما احتلّوهُ من اراضي فرنسة وبلجيكة حتى حدود نهر الرين وفرّ القيصر هارباً

الى هولندة مع وليّ عهده وفي ١١ ت ٢ امضى سفراء الالمان كل شروط الصلح اوّلها هبوط المانية الكبرى. وبهِ انتهت تلك المأساة

٢ روسيا

كانت في مقدمة الدول التي دخلت هذه الحرب مكرهةً اليها الدفاع عن سربية لما بين الدولتين من الولاء والعلاقات العنصرية. فلمّا جاهرت النمسة بالعداء نحوها واعلنت لمحاربتها بالنير العام ساقت روسية جيوشها الغرمرميّة التي انافت في بعض الاوان على ثمانية ملايين واعمري انّ عددًا كهذا من الجنود لكافٍ لفتح العصور فضلًا عن بعض البلدان

على انّ هذه القوى العجيبة قام دون فعلها عقبات جمّة اصبح بسببها قسمٌ كبير منها عقيمًا. فمن ذلك نقصان الذخائر الحربية التي صار اليها الروسيّون بعد قليل في امسّ حاجة الى ان امكن فرنسة ان تمدّ الحلفاء بما ارسلته اليها من ذلك وبالمصانع التي انشأتها في بلادها

ومنها صعوبة المواصلات بين اخلاء دولتها واقطارها المختلفة لقلّة السكك الحديدية لا سيما انّ اطراف الدولة غاية في البعد عن ساحات الحرب وكان الشتاء اصبح على الباب . وقد زادت حالة روسيّة حرجًا بقلّة مواصلاتها مع حلفائها لمّا سُدّت في وجهها منافذها وأُقفل امامها الدردنيل والبوسفور وموانئ البحر البلطيكي مع تعطيل ميناء ارخانجل في أبان الشتاء . حتّى اسرعت روسيّة لتلافي هذه الاخطار بفتح موانئ جديدة حيث اتتها سفن الاتفاقيين فبادلتهم المعاملات

ومنها اختلاف العناصر والاجناس في دولة روسية فانّها تتألّف من امم عديدة لا تتفق لا في اللغة ولا في الدين ولا في الاخلاق مع ما تعدّد فيها من البدع الغريبة والشيع المتناقضة . فكل هذه الاسباب وغيرها كان من شأنها ان تضعف روسية وتؤدي بها الى الفوضى والدمار

على انّ الروسيّين في السنتين الاوليين للحرب جارَوا الدول الاتفاقية في حماستهم ومقاومتهم للدول المركزيّة. فانّ جيوشهم منذ اوائل الحرب زحفت الى

النسة في غاليسية والى المانية في بروسية الشرقية . ثمَّ بعد دخول تركية في الحرب الى شمالي العجم وارمينية والقفقاز فكان لها في كل هذه المواقف مآثر مشكورة

ومن حسن سياستها اذ ذاك انها اعلنت باستقلال پولونية ومنحها لرعاياها حرّية الاديان . وما لبثت ان دخلت لمبرغ حاضرة غاليسية وتهدّدت كراكوفيا عاصمتها وفتحت بعض مدنها المحصّنة كستانسلاو وپرزمسل

وكان فوز الجنود الروسية في غاليسية وبروسية موجباً لسحب قسم من الجيوش الالمانيَّة من فرنسة وبلجيكة وتوجيهها الى جهات الشرق فخفّ بذلك نوعاً الضغط عن فرنسة وسوَّل لجنودها الانتصار في المارن ثمَّ عند نهر ايزر ومدينة ايپر

ثم حاول الروس في اوائل سنة ١٩١٥ قطع جبال الكرپات لفتح سهول المجر وعاصمتهم بودابست فلم يفلحوا لكنهم شغلوا بهجومهم فيالق عديدة من الالمان فتقوَّى الفرنسويون والانكليز في اثناء ذلك بالساحة الغربية

ومن خِدَم الروس لحلفيهم انَّهم تصدَّوا للاتراك وحملوا على جهات القفقاز . فجرت بينهم وبين الجيوش العثمانيَّة معارك دمويَّة دارت فيها رحى الحرب على الاتراك في ثلث وقعات في ساري كميش واريغان (٣ و ٤ كـ٢ سنة ١٩١٥) ثمَّ في كاورغان (في ١٧ منهُ) . وتوالت هذه الانتصارات في شهر آذار ففتح الروس مدينة ارتڤين وانحاء باطوم . وتقدَّموا في ارمينية التركية وفتحوا في ايار مدينة وان . وألحقوا بالاتراك خسائر لا تُحصى من قتلى واسرى . ولم يُبقوا من بعض الفيالق العثمانيَّة الَّا افرادًا قليلين

وفي السنة ١٩١٦ عاد الروس بعد حبوطهم الى محاربة غاليسية وفتحوا تشرنوفتس وقطعوا نهر الدنوب واستولوا على پرزمسل فكان النصر حليفهم الى اواخر تلك السنة . وكذلك تقدَّموا في ارمينية وفتحوا في ١٥ شباط مدينة ارزروم وفي ٢٦ تموز مدينة ارزنجان . وكان الارشدوق نقولا قد تولَّى قيادة الجيوش

ثمَّ اخذت الاضطرابات والفتن السياسية في الشهور الاولى من السنة ١٩١٧ تُقلق الصوم في بقوغراد . وكان كثير من اعيان الدولة ناقمين على القيصر وحكومته فاخذوا يهيّجون الناس على نقولا الثاني واسرته . فاحسَّ الالمان بهذه القلاقل وارسلوا

بعض مناصريهم فتفخوا في الشعب نار الثورة وروح العصيان وتوصلوا الى الجيوش فحملوا الجنود على المشاغب. وكان بين عمّال الدولة قوم من الخوَنة المتسمين الى الالمان كانوا يتهاملون بتسوين العساكر وارسال الذخائر من جملتهم الوزير شتورمر. فكلّ هذه الاسباب اورثت زناد الفتن واحيت معالم الهيجان حتى تلبست تلك البلاد ظهراً لبطن فاضطرّ القيصر الى تقدمة استعفائه في ١٥ آذار ١٩١٧. ثمّ اوقفهُ بعد ايام ارباب الثورة هو وقرينتهُ التي كانت موالية الالمان ومسبّبة لزوجها كثيراً من الأحكام المخالفة لرضى اهل الدولة وبعد حين حكموا عليهما بالإعدام

واجتمع زعماء هذا الانقلاب فأعلنوا بهبوط سلالة رومانوف والدستور الجمهوري وبالعفو العام عن المجرمين والغاء عقاب الموت وتحرير اليهود وحرّية شعوب الكرج والليتوانيين واللتونيّين واستقلال فنلندة. لكنّ هؤلاء الزعماء لم يشاءوا انسحاب روسيّة عن ساحات الحرب بل صمّموا النيّة على مواصلة العمل مع الدول الاتفاقية واختاروا رئيساً للجمهوريّة الروسيّة كرنسكي الذي خطب في مجلس الشعب خطاباً حماسيّاً جاهر فيه على محاربة المانية وحلفائها حتى نيل النصر النهائي. ثمّ سعى كرنسكي غاية جهده في جمع شتات الدولة وضمّ ألفتها وألّف لذلك اللجنات ونظّم الدوائر السياسيّة لكنّ الحزب الاشتراكيّ نهض في معارضته وكان في مقدّمتهم لينين وتروتسكي وبعض المتسمين في السرّ لالمانية فجعلوا شعارهم الصلح على كلّ حال رغماً عمّا يلحق الأمّة به من العار وخلافاً لوعد الدولة الروسيّة أن لا تعقد صلحاً منفردًا. فقاوم هؤلاء المتطرّفين قومٌ من العقلاء منهم كورنيلوف سر عسكر الدولة الذي وقف على اوراق سرّية دلّت على خيانة لينين وانصاره فلما اراد توقيفهُ فرّ من وجهه. وتابع كورنيلوف مع جيوشه محاربة الالمان وانتصر عليهم غير مرّة

لكن الثورة اتسعت بمساعي لينين وانصاره فانتهزت الجيوش الالمانية تلك الهزة وفتحت مدينة ريغا حاضرة فنلندة. وتغلب على كورنيلوف اعدازهُ فاوقفوهُ. وحاول كرنسكي ان ينشئ وزارة محافظة فلم يحصل على نتيجة وعاد لينين وتروتسكي الى تحكّمهما في الامور واضطرّا كرنسكي الى أن يهرب وتقدّما الى كبير قوّاد الجيش بان يعقد الصلح مع الالمان فأبى بكل بسالة فعزلهُ لينين عن منصبه ودسّ اليه قوماً من مشايعيه فقتلوهُ. وفي ١٥ ك١ ١٩١٧ عقد لينين الهدنة مع دوق

باقارية ليوباد والجنرال هوفمان في بريست ليتوفيك ودفع رومانية حليفة الروس الى الموافقة لاحكامه والتوقيع على شروط هدنته

ثمّ اراد لينين وذووه تقرير الصلح النهائي مع الدول المركزية الاربع اعني المانية والنمسة وبلغارية وتركية على القواعد الآتية: ١ً ان لا تمتلك الدول على خلاف املاكها. ٢ً ان لا تطالب بالتعويضات والغرامات. ٣ً ان تُخيَّر كلّ أمّة بتدبير شؤونها. ٤ً ان يستقلّ كل شعب تاماً باموره الاقتصادية

فاجابت الدول المركزية انّها لا تنوي تملّكاً جبرياً وانّما يحقّ للدولة المتملكة ان تقضي بصير العناصر الوطنية. وانّها على كل حال لا تخرج عنها الّا عند انعقاد الصلح النهائي. وبناء عليه رفض الالمان ان يفرغوا معاملة كورلنده وبلاد ليتوانية ومدينة ريغا مع الجزائر

ومذ ذاك الحين صارت روسيّة في اسوإ حال ووقعت في ايدي البولشفيين كما اشرنا اليه في عددنا السابق. والله يعلم كيف تنتهي هذه الثورة التي تلتهم روسيّة كلها وتتهدّد البلاد المجاورة لها بل البعيدة منها. وللالمانية فيها يد محرّكة تدفعها اليها تشفياً من الدول الاتفاقيّة بعد ذهاب ريحها ورغبةً في مدّ سيطرتها على روسيّة. وقانا الله من كلّ شر ووفقنا الى ما فيه خير البلاد وسلام العباد (لهُ بقيّة)

الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي*

بقلم عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار)

صباح الخميس في ٨ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ م (١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ﻫ) فُجعت الآداب العربيّة بعالم من علماء دمشق عُرف بمعارفه الوسيعة وهو المرحوم الشيخ

* يسرّنا ان ننشر هذه الترجمة وكان الفقيد احد اصدقائنا المخلصين وقد اشتغل غير مرّة في مكتبتنا الشرقيّة ونقل شيئاً من مخطوطاتها. وكان يقدّر اشغال رهباننا قدرهم ويثني عليهم جهاراً عند قومه وقد لقينا منهُ تنشيطاً في نشر مطبوعاتنا واستحساناً لطرائقنا العلميّة رحمهُ الله (المشرق)

طاهر الجزائري والى القراء ترجمتهُ ملخَّصة من كتابنا (مفاوس الدرر في اعيان القرن التاسع عشر):

مقدمة

كثيرون هم العلماء الذين عرفناهم ولكن الذين مثل هذا الفقيد قليلون لأنهُ صرف حياتهُ عزيباً متفرغاً للبحث في المؤلفات ومراجعة المكتبات والحضّ على ترتيبها ووضع برامج لها وجعلها عمومية يستفيد منهـا الطالبون. دائباً في طبع المفيد منها ونشره. فلهذا كان من العلماء المحققين الذين يوثق باقوالهم ويُعتمد على آرائهم. وقد اشتهر ذكرًا بين المستشرقين وفاوضوهُ بشأن المخطوطات ومظانها فكأنهُ مع معارفهِ الكثيرة ومؤلفاته العديدة اختصَّ بفنّ المؤلفات ومعرفة المفيـد منها وتمييز نفائسها ونوادرها فكان آيةً في هـذا الفنّ الذي اعتنى بهِ الافرنج وسمّوهُ علم وصف الكتب (Bibliographie). واليك الآن لمحة من سيرتهِ

أسرة المترجم

جاء دمشق سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) الشيخ صالح ابن السيّد احمد ابن السيد موهوب ابن السيد ابي القـاسم ابن السيد موسى الوغليسي من سلائل الأدارسة الحسنيين الذين اشتهروا في المغرب وتكاثروا هناك مهاجرًا من بلادهِ الجزائر قبـل مجيء الامير الشهير عبد القادر الحسني اليها. وكان الشيخ صالح من كبار علماء المالكية فصار مفتي الجزائريين في دمشق واشتهر بصفاته وعاد بهِ الى أن توفي فيهـا سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) عن نحو ستين سنة وترك اولادًا اهمّهم المترجَم وابن شقيقه سليم بك الجزائري الذي قتلهُ الاتراك في اثناء الحرب العامّة

مولدهُ ونشأتهُ

وُلد الشيخ طاهر ابن الشيخ صالح الجزائري في دمشق ليـلة الاربعاء في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م) ومال من صغرهِ الى اقتنـاء الكتب وحبّ المطالعة فخرَّجهُ والدهُ في المكاتب الابتدائية ثم في مكتب الرشدية في دمشق فنال شهادتهُ المؤذنة بنبوغهِ

وتلقَّى بعض العلوم الأخر على والده وعلى الشيخ عبد الغني الميداني شارح القدوري

المشهور بعاومهِ وصلاحهِ ودرس على نفسه دائباً مغتنماً الفُرَص فحصَّل التركية والفارسية تحصيلهُ العربية وحذق اللغة الليبية لغة قبائل الجزائر

وما كاد يبلغ الثامنة عشرة حتى توفي والدهُ وكان قد أتقن علومهُ ووسَّع مداركهُ فظهر نبوغهُ واشتهر بالتبسُّط في المعارف وتقرَّب منهُ الادباء وجالسهُ العلماء. فكان مدار حديثهِ على ترقية آداب العربية بانشاء المدارس المفيدة وتأسيس المكتبات ووضع التآليف فشرع يبثُّ هذا الروح في رجال وطنه والقادمين الى دمشق من العلماء والادباء والذين يقابلهم في رِحلاته

ولما جاء مدحت باشا والياً على سورية وكان بها بك تلميذ ضياء باشا الشهير مكتوبي الولاية والشيخ علاء الدين ابن السيد محمد امين عابدين صاحب الحاشية الفقهية الشهيرة مديراً للمعارف اتفقت كلمتهم واجمع رأيهم على السعي بترقية العربية ففاوضوا مدحت باشا فآنسوا منه ميلاً فشرعوا في تأسيس جمعية باسم الجمعية الخيرية في ٥ شباط سنة ١٨٩٤ م انتظم في اعضائها نخبة العلماء والوجهاء في الفيحاء. وسعى المترجم اوَّلاً بتكثير المدارس والتحسين لأسلوب التعليم فأسَّس نحو تسع مدارس للذكور ومدرستين للاناث. وبدأ في وضع الكتب المدرسية فألَّف في مبادئ العربية قراءة واصولاً وعقائد ثم ألَّف في المساحة والحساب والطبيعيات والعلوم الاخر كتباً طُبع معظمها وغرفت فائدتها

ولم يلبث المترجم ان عُيِّن مفتشاً للمعارف في ولاية سورية على اتساعها فسعى باجتهاد في تعميم المعارف واعلاء منار المدارس وأنشأ مطبعة للجمعية الخيرية لطبع المؤلفات المدرسية وغيرها

ثم سعى بتأسيس مكتبة الملك الظاهر في قبَّة البناء الظاهري في محلَّة باب البريد قرب الجامع الاموي فجمع فيها آلافاً من نوادر المخطوطات كانت مبعثرة في الجوامع وفي بيوت الخاصة ووقف لها بعضاً من مكتبتهِ الكبيرة. وكان يبتاع لها ما تقع عليهِ يدهُ من النفائس وسعى بطبع برنامج مختصر لها. فاشتهرت وقصدها المستشرقون والعلماء مطالعين ومستنسخين. ثم حوَّل همتهُ الى فلسطين فحضَّ فيها آل الخالدي على جمع كتبهم فأسَّس لهم المكتبة الخالدية في القدس ووضع لها برنامجاً صغيراً طبع ايضاً

وساح في الشرق وبلاد العرب والاستانة واوربّة ومصر فاقتنى كثيرًا من المخطوطات والمطبوعات النادرة واستنسخ ما استنسخ ووقف على ما وقف فنزُرت مادّتهُ وعاد الى دمشق مفتشاً لمكاتبها ومؤلفًا الى ان نبَتْ به. ديار الشام فغادرها الى مصر نحو سنة ١٩١٠ م ونقل اليها معظم مكتبته فابتاعها منه الاحمدان تيمور باشا وزكي باشا وبعضها ضُمَّ الى المكتبة السلطانية الكبرى . وهناك سعى بتعزيز العربيّة ومكاتبها فحثَّ على انشاء المجلة السلفية ومطبعتها فاختصت بالبحث عن المخطوطات .وعاد الى سورية في اول الحرب العامة فاجتمعتُ به في بيروت ثم عاد الى مصر من فورهِ وبقي هناك يطالع ويؤلف ويحضّ على نشر الكتب المفيدة الى اواخر ايلول سنة ١٩١٩ فعاد الى دمشق مريضاً بالربو الصدري ولم يلبث في اواسط تشرين الاول ان عُيّن مديرًا للمكتبة الظاهرية ثم عضوًا في المجمع العلمي حيث اجتمعتُ به مدةً الى ان انحلّ عقد المجمع في اواخر تشرين الثاني فبقي مديرًا للمكتبة الى ان استأثرت به رحمة بارئهِ

مترلتهُ العلميّة ومؤلفاته واخلاقهُ

كان لهذا الفقيد مترلة علمية كبيرة وشهرة في عالم الادب واسعة والتحقيق في البحث واعتماد على العمل لا القول وقد كتبَتْ عنه بعض المجلات الغربية والشرقية وترجَمَهُ بعض العلماء في القطرين وفاوضوهُ

فنثر هو مقالات ورسائل وفوائد في كثير من المجلات والصحف وغُني بوضع كثير من المؤلفات المدرسية والادبية والعلمية طُبع بعضها وبقي الاخر مخطوطاً

فمنا طبع منهـا (توجيه النظر الى اصول الاثر) وهو في اصول الحديث طبع بمصر سنة ١٩١٩ م في ٤٢٠ صفحة . و (مدّ الراحة الى اخذ المساحة) بمطبعة سورية سنة ١٨٨٤ م في ٢٠٨ ص.و (الفوائد الجسام في معرفة خواصّ الاجسام) طبع فيها سنة ١٨٨٢ في ١٢٥ ص.و (مدخل الطلّاب الى فنّ الحساب) طبع فيها ثالثة ١٨٨٥ في ٤٨ ص.و (منية الاذكياء في قصص الانبياء) عرّبهُ عن التركية وطبعهُ بمطبعة الجمعيـة الخيرية في دمشق سنة ١٨٨١ م في ٢٣٩ ص . وآخر مؤلفـاته المطبوعة (التقريب لاصول التعريب) طبع سنة ١٩١٩ بمصر في ١٣٦ ص (١

١) ولهُ ايضاً في مكتبتنا الشرقية كتاب ارشاد الالبّاء الى طريق تعليم الف باء طُبع في

ومما وقف على طبعه او نشره من الكتب والرسائل وشرح بعضها (ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد) و(ديوان خطب ابن نباتة) و (امثلة الالمعي ومنية المدّعي) و (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) و (الادب والمروّة) و (الادب الصغير) وغيرها

ومن أهم مؤلفاته التي لا تزال مخطوطة (التذكرة الطاهرية) وهي في اكثر من عشرين مجلداً تبحث في نوادر المخطوطات ومحلّ وجودها ومزاياها وامثلة منها فيها يستعين المؤلفون والطابعون . ومنها (التفسير الكبير) و (المعجم العربي) و (السيرة النبوية) و (جلاء الطبع في معرفة مقاصد الشرع) وكلها مفيدة

ولقد اقتنى مكتبةً جمعت بضعة آلاف مجلد كان معظمها مخطوطاً وفيها أمهات ونوادر نقل اكثرها الى مصر وباعها فيها وباع الباقي في دمشق

ومن صفاته كثرة التقشّف الى درجة يُنتقَد عليه فيها ولكنهُ لم يكن ليبالي بالانتقاد واشتهر بالغيرة على العربية والمعارف غيرةً نادرة . وبكثرة التحقيق والبحث عن كل شيء ليتحصّهُ ويظهر صدقهُ من كذبهِ وغثّهُ من سمينهِ . وكان ضيّق الصدر مع الناس كثير الجلَد في خلوته بكتبه وبقيَ الى آخر حياته لا يترك الكتاب لحظةً . فرأيتهُ وهو زميلي في المجمع العلمي بدمشق يراجع كل مؤلف جديد ويحرص على كل مخطوط حتى انهُ اخبرتهُ مرةً انني وقفتُ على مجموعة قديمة لرسائل ابن ابي الدنيا فاستمهلتُ بانعها ريثما اشاور اعضاء المجمع لأبتاعها للمكتبة الظاهرية ثم عدت اليه فوجدتهُ قد باعها بعد بضع ساعات فقال المترجم لي : يجب ان تُغرَم على هذا الاهمال . واشتهر بانهُ طيّب القلب جيد الحديث واسع الرواية قوي الحافظة شديد الانتباه وكان يدخّن اللفيفة حتى آخر حياته مع ما مُني بهِ من النُوَب الصدريّة وضيق التنفُّس . وكثيراً ما رأيتهُ يقطع اللفيفة شطرين ليدخّن شطراً منها وبعد هنيهة يدخن الثاني . وكان سريع الحركة والفكر قوي البنية عصبي المزاج معتدل القامة الى الطول حنطي اللون وخطّهُ الشيب ظاهراً في لحيتهِ المسترسلة بشوش الوجه يميل الى الجدّ والعمل وحفظ الوقت . رحمهُ الله وعزّى آلهُ والادب على فقدهِ

بيروت سنة ١٣٢١ هـ في ١٤٤ صفحة . ولهُ كذلك جداول وصحائف جدارية في الخطوط القديمة والحديثة مع فوائد تتعلق بها مما لم يبحث فيهِ حتى الآن احد من الشرقيين وهي مطبوعة على الحجر بكل دقة وجلاء (المشرق)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السادس

في ما ورد في الاسفار المقدسة من حكم العرب والحديث

كنّا انتهينا في فصلنا السابق الى ذكر الامثال التي اخذها العرب في الجاهليّة او اوائل الاسلام عن الاسفار المقدسة من العهدين القديم والحديث . ويلحق بهذا الباب بابُ حكم العرب مع الحديث المرويّ عن نبيّ الاسلام افردنا اذلك هذا الفصل بحيث يظهر من المقابلة ما كان للنصرانية من النفوذ بين العرب في اواخر ايّام الجاهليّة وظهور الاسلام

١ الحكم

جاء في ديوان سلامة بن جندل (ص ١٩):

عجلتم علينا حجّتين عليكمُ ... ومهما يشأ الرحمنُ يعقِدْ ويُطلِقِ
هو الكاسرُ العظمِ الامين وما بنا ... من الأمر يجمَعْ بينَهُ ويفرّقِ

ومثلهُ لسُوَيد بن ابي كاهل (شعراء النصرانيّة ٤٣٤):

انّما يرفعُ اللهُ ومن شاء وَضَعْ

فهو من قول الله عزّ وجلّ (١ ملوك ٢ : ٦-٧ : « الربُّ يميت ويحيي يُحدر الى الجحيم ويُصعدُ الربُّ يُفقِر ويغني يَحُطّ ويرفع »

وقال عبد القيس بن خُفاف (المفضّليات ٧٥٠):

اللهَ فاتّقِ وأوفِ بنذورِ واذا حلفتَ عارياً فتحلّلِ

قال في سفر الجامعة (١٢ : ١٣) : « اتّقِ الله واحفظ وصاياه » وقال في المزامير (٤٩ : ١٤) : « أوفِ العليَّ نذورك ». وفي سفر الخروج (٢٠ : ٧) : « لا تحلف باسم الرب الهك باطلًا فانَّ الربَّ لا يزكي من يحلف باسمه باطلًا »

وورد في شعر المرقّش الاكبر (شعراء النصرانيّة ص ٢٨٦) :

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احد بدائمْ
قد خُطَّ ذاك في الزَّبو رِ الأوّليّات القدائمْ

يشير الى المزمور المئة والواحد حيث يقول داود للربّ : « انَّ الارض والسماوات تزول وانت تبقى وكلُّها تبلى كالثوب . وانت انت وسنوك لن تفنى » . ومثل هذا قول اميّة بن ابي الصلت (شعراء النصرانيّة ٢٢٨) :

وتفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميتُ ويحيي دائباً ليس يهمدُ

ومما اقتبسهُ لبيد من سفر الجامعة قولهُ :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

ومن مقتبسات لبيد من الاسفار المقدّسة (دانيال ٤ : ٣٢ وخروج ٣٣ : ع ١) قولهُ :

انَّ تقوى ربّنا خيرُ نَفَلْ وبإذنِ اللهِ رَيْثي وعَجَلْ
احمدُ اللهَ ولا بدَّ لهُ بيديهِ الخيرُ ما شاء فعَلْ
من هداهُ سُبُلَ الخيرِ اهتدى ناعمَ البالِ ومن شاء أضلْ

وقال أفنون (شعراء النصرانيّة ١٩٣) :

لعمرك ما يدري امروء كيف يتّقي اذا هو لم يجعل لهُ اللهَ واقيا

وقال الآخر :

اذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فاوّلُ ما يجني عليهِ اجتهادُهُ

وقال عليّ في المعنى (ص ٤) : « توكّلْ على الله يَكفِكَ » . وهذا كثير في الاسفار المقدّسة . قال في المزامير (٥٤ : ٢٣) : « ألقِ على الربّ همّك وهو يَعُولك » . وقال (١٢٦ : ١) : « وان لم يبنِ الربُّ البيت فباطلًا يتعب البنّاؤون » . وقال بطرس في رسالتهِ الاولى (٥ : ٧) : « ألقوا عليه همّكم فهو يعتني بكم »

وفي ديوان حاتم الطائي قولهُ (شعراء النصرانيّة ص ١٢١):

كُلُوا الآنَ من رِزْقِ الإله وأَبْشِرُوا فانَّ على الرحمانِ رزقكمُ غدا

هو كقول المخلص في انجيل متّى (٦ : ٣٤): « لا تهتمّوا بشأن الغد فالغد يهتمُّ بشأنهِ »

وقد اقتبس أُميّة بن ابي الصلت من تسبحة الثلثة فتية (دانيال في تسابيحهِ فقال (شعراء النصرانيّة ٢٢٧):

تسبّحهُ الطيرُ الجوانحُ في الهوى واذ هي في جوِّ السماء تُصَعَّدُ
ومن خوف ربّي سَبّح الرعدُ فوقنا وسبّحهُ الاحجارُ والوحشُ أَبَّدُ
وسبّحهُ الثبانُ والبحرُ زاخرًا وما طمَّ من شيء وما هو مُتْلِدُ

واستمدَّ من سفر حزقيال (ف ١٠) وصف الملئكة فقال:

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ
ومنهم مُلِفٌّ في الجَنَاحَينِ رأسَهُ يكادُ لذِكْرى ربّهِ يتفصَّدُ

واقتبس الآخر قول اشعيا (٤٠ : ١٨) « بمن تشبّهون الله واي شيء تعادلون بهِ » فقال:

وليس كمثل الله شيء ولا لهُ شبيهٌ تعالى ربّنا أن يُحَدَّدا

وشبَّه داود في المزامير (١٤:٣٢) واشعيا في سفر نبوّتهِ (٤٠ : ٢٤) زعماء الارض بعصافة يتلاعب بها الريح فأخذ هذا التشبيه الحريث بن عنّاب (الاغاني ١٤:١٠٢) فقال:

كأنها ريشةٌ في أرضِ بلقعةٍ من حيثُ ما وجَّهَتْها الريحُ تنصرفُ

وجاء في الاغاني (٢ : ٥٠) ان كعب الاحبار سمع رجلًا ينشد بيت الحطيئة:

مَن يفعلِ الخير لم يعدم جوازيَهُ لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والناسِ

فقال: والذي نفسي بين يديهِ انَّ هذا البيت لمكتوب في التوراة. قال العمري: والذي صحَّ عندنا في التوراة: لا يذهب العرف بين الله والعباد. والشطر الاول ورد في رسالة القديس بولس الى اهل افسس (٦:٨): « مهما عمل كلّ واحد من الخير فسينالهُ من الربّ »

واقتبس الحطيئة ايضاً من الكتاب المقدس قولهُ:

ولستُ أرى السادة جَمْعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذخرًا وعند الله للأتقى مَزيدُ

فهو في المزامير (مز ١١١ : ١). وقال ايضاً بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموتاوس (٤ : ٧—٨): «روّض نفسك على التقوى فانّ التقوى تنفع في كلّ شيء»

وقد ذكر الربّ في انجيل لوقا (ع ٤ : ٢٢) المثل: «أيها الطبيب اشفِ نفسك» وحذّر عن المرائي الذي يرى القذى في عين أخيهِ ويغفل عن الخشبة التي في عينهِ (متّى ٧ : ٢—٤) فاخذهُ ابن معاوية الجعفريّ فقال:

ولا تقربنَّ الصنع الذي تلومُ اخاكَ على مثلهِ

وقال الآخر (الاغاني ٢٠ : ٥٧)

وعاملٍ بالفجور يأمرُ بالبرّ م كبادٍ يغوصُ في الظُّلَمِ
او طبيبٍ قد شفَّهُ سَقَمٌ وهو م يداوي من ذلك السقمِ
يا واعظَ النَّاسِ غيرَ متَّعظٍ نفسكَ طبّرْ او لا فلا تَلُمِ

ومثلهُ لعليّ: من ابصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ

وقد اقتبس يحيى بن زياد قول سليمان في امثالهِ (١٠ : ١٢) «البغض يثير النزاع والحبّ يستر جميع المعاصي» فقال:

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ كما انَّ عين السُّخطِ تبدي المساويا

يقول العرب (الميداني ١ : ٢٩٥): ربّما كان السكوت جواباً. ومثلهُ قول الشاعر:

اذا نطقَ السفيهُ فلا تُجبهُ فخيرٌ من اجابتهِ السكوتُ

وهذا قد ورد في امثال سليمان الحكيم (٢٦ : ٤): لا تجاوب الجاهل بحسب سَفَهِهِ لئلّا تكون انت نظيرهُ». وقال (٢٩ : ٩): «الحكيم الذي يخاصم سفيهاً لا يجد راحةً»

ومن حكمهم: الصدقُ مَنجاة والكذبُ هواة. ومثلهُ في سفر ابن سيراخ (٢٠ : ٢٦): «الكذبُ عارٌ قبيح في الانسان». وقال (٢٠ : ٢٨): «شأن الانسان الكذوب الهوان وخزيهُ معهُ على الدوام»

من اقوال العرب الشائعة: « العاقل لسانهُ في قلبهِ » وروي بين حكم عليّ بن ابي طالب (ص ٩٨) : قلب الاحمق في فيهِ ولسان العاقل في قلبهِ . قالهُ ابن سيراخ (٢١ : ٢٩) : « قلوب الحمقى في افواههم وافواهُ الحكماء في قلوبهم ». وقال في امثال سليمان (١٦ : ٢٣) : « قلبُ الحكيم يفقّهُ فهُ ويزيد شفتيهِ فائدةً »

وروي ايضاً لعليّ (ص ٣٢) : « ابن الكلام قيد القارب » . ورد مثلهُ في ابن سيراخ (٦ : ٥) « الفم المذب يكثر الاصدقاء واللسان اللطيف يكثر المؤانسات »

وبين حكم علي أيضاً (ص ٧٢) : ذكر الآخرة دواء . وقال ابن سيراخ (٧ : ٤٠) : « في جميع اعمالك اذكر اواخرك فلن تخطأ ابداً »

ومن حكم العرب (الميداني ٢ : ٦٧) : كلام كالعسل وفعلٌ كالأسل . كأنهُ تعريب آية الزبور (٦١ : ٥) : « يباركون بافواههم وفي باطنهم يلعنون ». ولابن سيراخ (١٢ : ١٥) : « العدوّ يظهر حلاوة من شفتيهِ وفي قلبهِ يأتمرُ ان يُسقطك في حفرة »

ومما رواهُ الميداني للعرب (٢ : ١٧٩) : ما على الارض شيءٌ احق بطول سجن من لسان . قال القديس يعقوب في رسالتهِ (٣ : ٨) : « لا يستطيع احد من الناس ان يقمع الانسان فهو شرٌّ لا يُضبط »

يقول العرب : ان شئتَ ان تُطاع فسَلْ ما يُستطاع . ومثلهُ في امثال الميداني (٢ : ١٩٩) : المرء توّاق الى ما لم ينلْ . وقد سبق ابن سيراخ فقال (٣ : ٢٢) : « لا تطلب ما يُعييكَ نَيْلهُ ولا تبحث عمّا يتجاوز قدرتك »

وورد بين الحكم المنسوبة الى عليّ (ص ٦) : ثبات الملك بالعدل . وفي امثال سليمان (١٤ : ٣٤) « العدل يُعلي الأمّة » :

وروي لهُ (ص ١٠٨) : من اطاع نفسهُ قتلها ومن عصى نفسهُ وصلها . وهو منقول عن كلام الرب (متى ١٦ : ٢٥) : « من اراد ان يخلّص نفسهُ يُهلكها ومن اهلك نفسهُ من اجلي يخلّصها »

وروي ايضاً بين حكم عليّ قولهُ (ص ٧٠) : درهم الفقير اذكى عند الله من دينار الغني ، وهو كمثل قول الربّ عن فلس الارملة (مرقس ١٢ : ٤٣) : « انّ هذه الارملة الفقيرة القت اكثر من كلّ الذين القوا في الخزانة »

ومنها (ص ٣٢): كلام الله دواء القلوب. وقد سبق اليه في الزامير حيث قال (غز ١٨: ٨): شريعة الرب كاملة تردّ النفوس. امر الرب مستقيم يفرّح القلب

ومنها ايضاً (ص ١٤): ذليل الخلق عزيز عند الله. ورد في رسائل بولس (١ كو ١: ٢٥): مستجهل الله احكم من الناس ومستضعف الله اقوى من الناس

(له بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

GOURAUD: Sa vie — Son œuvre par [Pierre] Gastinel, *Paris, Picart*, 1918. *pp.* 62.

ترجمة الجنرال غورو

اهدتنا المجلّة الفينيقية اصاحبها الاديب شرل قرم نسخة من ترجمة دولة القائد العام الجنرال غورو كتبها احد العارفين به حقّ المعرفة. فقرأناها بايّ لذّة وزاد بمطالعتها اعتبارنا لذلك البطل الذي مثّل في شخصه الشهامة والمروّة وحسن السلوك في كل اطوار عمره. فانهُ حقيقة احد الافراد الذين لا ترى لهم شائبةً في حياتهم. فنحضّ كلّ من يريد ان يعرف نعمة فرنسة الى سوريّة بتعيينها هذا الجنرال لرعاية بلادنا ان يمعن النظر في هذه الترجمة ل. ش

L'Industrie de la Soie en Syrie par GASTON Ducousso attaché au Consulat Général de France à Beyrouth, *Beyrouth, Imprimerie Catholique*, 1913. *pp.*239.

صناعة الحرير في سورية

هذا كتابٌ اهداهُ الينا صاحبهُ الاديب المسيو دو كوسّو اللاحق بقنصلية فرنسة في بيروت قبل الحرب فلم يسمح لنا الوقت بتعريفهِ. مدارهُ على صناعةٍ عليها معوّل حياة الوفر من اهل سوريّة ولبنان اعني صناعة القز والحرير. جمع فيهِ المؤلف كلّ ما يختصّ بهذا الفنّ لم يدع صغيراً او كبيراً من احوالهِ الّا بحث فيهِ. كتاريخ هذه

الصناعة في انحاء الشام منذ اوّل دخولها في عهد ملوك الروم وبيان ترقيها بتوالي الاعصار ثم المتاجرة بها مع اوربّة ولا سيما دولة فرنسة. ثمّ انتقل الى وصف كلّ موادّها ومتعلّقاتها كغرس التوت وتحصيل البزر وتربية القزّ وتشغيل المعامل ووصف ادواتها القديمة والحديثة وبيان الطرق الى تحسينها ثمّ ذكر المصنوعات الحريرية. وهناك برامج وجداول غاية في الضبط توقف القرّاء على كل محصولاتها وارباحها مع عدّة تصاوير تمثّل للعيان بعض الادوات المستحدثة والفبالج ومعامل الحرير تمّا يجمع بين اللذة والمنفعة. هذا الكتاب لا يستغني عنهُ الذين يتعاطون في بلادنا صناعة القز فانّهُ كلّهُ فوائد

ل. ش

P. B. Cattan : I° La Donna araba prima e dopo Maomotto = 2° La Chiesa Copta nel Secolo XVII. *Roma*, 1916-1919.

المرأة العربيّة في الجاهليّة والاسلام – الكنيسة القبطيّة في القرن السابع عشر

هاتان مقالتان حسنتان نشرهما في مجلة بسّاريون حضرة وطنينا الخوري باسيليوس قطّان مدرّس العربيّة في رومية. ففي المقالة الاولى تتبّع احوال المرأة العربيّة قبل الاسلام وبيّن ما كان لها من المقام ووصف ما ذكرهُ عنها قدماء الكتبة في سيرتها الخاصّة والعمومية ومن حيث الدين والآداب ثمّ قابل بينها وبين المرأة في الاسلام وشرح سبب انحطاطها وما يؤمّل لنهضتها. وخصّص المقالة الثانية للبحث عن احوال الكنيسة القبطية في القرن السابع عشر مستندًا الى ما ورد عنها في ثلاث رسائل مخطوطة وقف عليها في سجلّات المكتبة اللنشية كتبها احد بطاركة الاقباط وبعض كهنتهم ومدارها على انضمام ملّتهم الى الكنيسة الرومانية. فنشرها حضرة الاب قطان ونقلها الى الايطاليّة واضاف اليها عدّة ملحوظات لفهم مضامينها. وقد مرّ في المشرق كتابات بهذا المعنى. فنشكر حضرة الاب على اخراجه هذه الآثار من زوايا النسيان

ل. ش

Albert Valensin : Lucien Chaboud, 2e *ed. Paris, Gabalda*, 1918, *pp.* VII-82.

ترجمة شهيد وطنيّ لوسيان شابور

لوسيان شابور شابٌّ في مقتبل العمر كان دخل في الرهبانيّة اليسوعية حديثًا

كمتدى اذ دعاهُ وطنهُ الى الحرب مع عدة رهبان مثلهُ فما كان منهُ الَّا أن لبَّى دعوة الوطن بكل شهامة وابلى فيها احسن بلاء حتَّى نال الامتيازات الحربية وترقَّى الى رتبة ليوتنان. الَّا انَّهُ وجد في الحرب وسيلةً جديدة لتقديس نفسهِ وخلاص جنودهِ الذين اكتسبهم للفضيلة والتديُّن فكان بينهم رسولًا حيًّا يجلُّهُ الكل ويعتبرونهُ. ولمَّا قُتل في ساحة الحرب أسف عليهِ ارفاقهُ كأعز الاصدقاء. وقد نشر حضرة المؤلف الذي علَّم مدَّةً في كليَّتنا رسائل المترجم قد أشعر بها عن عواطفهِ السامية وتعلُّقهِ بدعوتهِ فجاء الكتاب من اجود ما يطَّلع عليهِ الشُّبان ليقرنوا مثلهُ بين حبّ الدين والوطن ل. ش

P. Henri Lammens: La Syrie et sa Mission historique. *Le Caire*, 1915 — L'évolution historique de la Nationalité Syrienne, (*La Revue Phénicienne*).

محاضرتان عن سوريَّة ومقامها وعناصرها

لا يجهل احد من قرَّائنا الدروس التي نشرها حضرة الاب لامنس في المشرق عن لبنان وسوريَّة ومع بُعدهِ عنَّا منذ نحو ١٥ سنة لم ينسَ هذه البلاد التي تعشَّقها. ومن الدليل على ذلك هاتان المحاضرتان اللتان تلاهما في نوادي الادباء في مصر بيَّن فيهما ما خُصَّت بهِ سوريَّة من المقام الممتاز بوقعها وسط آسية المتقدِّمة كحلقة ذهبية جامعة بين ثلث قارات العالم القديم ثمَّ تتبَّع تاريخ الشعب السوري في اطوارهِ المتوالية وثباتهِ على عنصرهِ الاصليّ رغمًا عن كلّ التقلبات التي حدثت فيهِ بتملُّك الدول المختلفة عليه. وقد بيَّن حضرتهُ هذه الامور بما عُهد عليهِ من البلاغة

لبنان في الحرب

بقلم الخوري انطون يمين (الجزء الاوَّل بيروت ١٩١٩ ص ١٨٦)

اخذت الاقلام الحُرَّة توقفنا على حقائق الامور التي جرت في هذه الاقطار مدَّة الحرب العمومية اذ كانت تضغط علينا يد الاتراك فيوسعونا آلامًا. وكتاب حضرة الخوري انطون يمين بفصولهِ الشائقة وحسن تنسيقهِ ووصفهِ المدقَّق لاهمّ حوادث تلك الايَّام المشؤومة يستحقُّ اعتبارًا خصوصيًّا فنحضُّ اهل الوطن على اقتنائه ليدركوا ايَّ نعمة اسبغ بها الله على بلادنا اذ كسر نير الدولة العثمانية عن عاتقنا

لبنان الكبير

محاضرة للكاتب الاجتماعي عبدالله بك رزق‌الله خير (بيروت ١٩١٩ ص ٢١)

قد كثر القال والقيل في هذه الاونة الاخيرة عن لبنان واتساع حدوده واستقلاله التامّ او استقلاله النوعي. فتعدّدت الآراء وتضاربت الاقوال واننا نرى ان صاحب هذه المحاضرة قد اصاب المرمى اذ قرّر اولًا انّ لبنان لا غنى له عن سواحله وسهوله البقاعيّة. وعن دولة تساعده في شؤونه الاقتصاديّة والاداريّة وانّ هذه الدولة هي فرنسة التي طالما فدت لبنان بمالها ودمها واظهرت لها من الحب والتفاني ما لم يُذكر لدولة غيرها. فنهنّئ جناب الخطيب ونتمنّى ان يحظى كلامهُ بالغاية المرغوبة لدى الخاصّ والعامّ اذ فيه صالح البلاد وخير العباد ل. ش

العقد النضير

هذه احدى القلائد التي حلّى بها الشعراء جيد غبطة بطريرك لبنان الكبير السيّد ماري الياس بطرس الحويك بعد عوده ظافرًا بمطاليب اللبنانيين وهي من النظم المنتقى الذي امتاز به حضرة البرديوط بطرس حبيقه رئيس مدرسة القديس بطرس في بسكنتا (لبنان)

فلم تكُ تصلح الّا لهُ ولم يكُ يصلح الّا لها

الشكوى: مناجاة الارواح — محاورة حكيم

من نظم الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي (مصر ١٩١٥–١٩١٨ ص٥٦ و٤٠)

هذان مجموعان من القصائد والمقاطيع التي دبّجها يراع شاعر الشهباء حضرة الخورفسقفوس جرجس شلحت في مصر مدّة اقامته هناك في اوان الحرب العامّة. افتتح المجموع الاول بثناء عاطر على جلالة السلطان حسين الاوّل كمال ثمّ على الشاعرين الناثرين ميخائيل افندي صقّال ويوسف بك شلحت وعقّبهُ بمناجاة ارواح مشاهير الشهباء المسيحيين الذين اطنبنا غير مرّة في محامدهم في المشرق فعانقت روحهُ ارواحهم فاستحقّ ان يُلتقى بسلسلتهم الذهبيّة. اما محاورة الحكيم فنظّم سلكها قبل رجوعه الى الوطن وصدّرها بعقد لواء الثناء على جلالة السلطان فؤاد

الاوّل وعلى جمعيّة الامم على اثر صدور منشور قداسة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر الداعي فيها الامم الى الصلح. ثمّ اردفها بثلاث محاورات وجّهها الى رئيس الديوان السلطاني محمود شكري باشا ووصل بها نحو ٤٠ قطعة من قلمه السيّال انشدها في علية المصريين من اهل الدين والدنيا . لا زال ناظمها سنداً للآداب وفخراً للشهباء.

شذرات

نسخة من تاريخ البطريرك اسطفانوس الدويهي عثرنا على نسخة من تاريخ المسلمين للبطريرك الماروني العلامة اسطفانوس الدويهي كتبت في اوائل القرن التاسع عشر بالكرشوني. والتاريخ المذكور جامع بين التاريخين الديني والمدني فامّا الديني فنشرهُ بالطبع المرحوم رشيد الشرتوني امّا المدني فلا يزال مخطوطاً وانّما طُبع منهُ قسم على الحجر. وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة مخطوطة في تاريخ سنة ١٨٩٥ مسيحيّة

وفي النسخة الكرشونيّة التي وقفنا عليها نبذة للدويهي لم نجدها في غير هذا الكتاب نثبتها هنا بحرفها انلّا تُفقد ضياعاً وموضوعها بعض ادبرة لبنان

اهلهاوه هلهوه هلهوهما
واهلهوهما هسلا

فلمّا كان تاريخ سنة ١٦٩٠ في التشارين كان تجديد مجلس دير مار سركيس في اهدن راس النهر وذلك انّ العمار القديمة كانت على قناطر في النحتي والطابي وبعد ما ترعزعت رممها ابن عمّنا المطران بولس المرحوم مرّتين. وبعد منه سكن في الدير ابن اخينا الخوري ميخائيل ورمّ قناطره في زمانه . ثمّ بعد مدّة من الزمان التناطر رفصت الحائط الغربي وانشقّ السقف ثبت مدّة لا احد يسكنهُ ولا يجرفهُ ولا يحدله حتّى دثر اثاثه فاوضعنا يدنا عليه وعزّلنا التناطر كلّها واقمنا حائط متين في الوسط وعمّرنا قبوين في السوق الجوّاني قدّام كلّ كنيسة قبو. وفوق منهُ قلالي والسوق البرّاني على خشب واقمنا الحائط الغربيّ من الارض وطالع

وكانوا المعلمين اربعة من رشيا والمتكلم عليهم ولدنا القسّ جرجس البنّاء الماروني اصلهُ من قرية اميون في الكورا ودوّرنا طاحون وكل دائرتها خير ما كانت اوّلاً

ثمّ اننا رفعنا ابن عمّنا القسّ جبرائيل الى درجة المطرنيّة وصرفناهُ فيه وكذلك في سنة ١٦٩١ عند ما ترهّب ابو ميخائيل اطونيوس بن اصنون مسكنا بيده وعمّرنا لهُ دير مرت مورا فكان كلهُ خراب ما خلا الكنيسة وعمّرنا السور الشمالي والمزانة التي بين الكنيسة والدير اقيمة فوق منهم عليّتين اسأل الحقّ سبحانهُ وتعالى يرزقنا شفاعة هؤلاء القديسين ودعاء الكهنة والرهبان الذين يخدمونهم . ثمّ حدث ان هبط حائط سيّدة حوقا البرّاني الذي هو داخل الدارة وبادرنا في مجيبة المعلمين وفي اصلاحها وكان ذلك في ايّام اخينا المطران يوسف سليمان المترئس على الدير المذكور كانت سنين صعبة بسبب عزلة بيت حمادي من الحكم وتنبير الدول سبحان من يتغيّر ولا يتغيّر ثمّ في سنة ١٦٩٥ ادّعوا اولاد عمّه على بساتين دير راس النهر في قرية زغرتا وكنّا نحن غائبين فدفنا لهم ثلاثين غرش وابطلنا دعوتهم قدام اولاد الضيعة وكتبوا لنا حجّة ان ما لهم حقّ ولا مستحقّ في دير راس النهر ولا بشيء من رزق ساحل جبيل تحريرًا في سنة ١٦٩٧ وقد مجدّدناها

سرعة تموّجات التلغراف اللاسلكيّ قد جهّز ارباب برج ايفل في باريس ادوات غاية في الدقّة والتأثير ليقيسوا بها سرعة التموّجات المنتشرة في الجوّ من ذلك البرج الى محطّات أخرى من مستعمراتهم في افريقيا ذهاباً واياباً فتحقّقوا انّ سرعة تلك التموّجات كسرعة انتشار النور عينه الذي يقطع في الثانية ٣٠٠٫٠٠٠ كيلومتر بنيف فينتج من ذلك ان التموّجات اللاسلكية يمكنها في الثانية ان تدور كالنور سبع مرّات حول دائرة كرتنا الارضية التي يبلغ قياس دائرتها ٤٠٫٠٠٠ كيلومتر فقط . فترى باي سرعة تنتشر الاخبار بالتلغراف اللاسلكيّ من اقاصي العالم الى اقاصيه باخفّ من طرفة العين

حلّابة صناعيّة لم يدع الاوربيّون ضرباً من فروع الصناعة الّا يطلبون لهُ ترقّياً فمن ذلك وضعهم لآلات صناعية يحلبون بها البقر . ومنها وضعهُ آخرًا في بلاد اسوج احد ارباب الفلاحة المدعو الفيفن (Alfeven) آلةً ذات اربع مصّاصات صناعية توضع على اخلاف البقرة فتحلبها حلباً محكماً غاية في النظافة . والآلة تتحرّك باداة كهربائية وبهذه الطريقة يمكن حلب بقرات عديدة في وقت واحد . والآلة كلها مع المحرّك الكهربائي ووعاء الحلب لا يزيد وزنها على عشرة كيلوغرامات و١٤٠ غراماً

أسئلة وأجوبة

س. سأل مستفيد ما اصل الالفاظ الآتية: صباهي (spahi) وسراي وزواف وطربوش

اصل صباهي. سراي. زواف. طربوش

ج صباهي لفظة فارسيَّة والصواب كتابتها بالسين سپاهي اصلها سپاه ومعناها العسكر والفرسان. والنسبة اليها سپاهي. وهي في الاصل فرقة من فرسان اهل الجزائر في خدمة الفرنسويين — واصل سراي من التركية «سرا» معناها القصر — والزواف كلمة عربية وهي علَم لاحدى قبائل الجزائر اصلها زواوة ورد ذكرها في تواريخ المغرب لابن خلدون وغيره — امَّا الطربوش فاصلها سربوش كلمة فارسية مركَّبة من سر اي رأس وپوشيدن اي غطّى بمعنى غطاء الرأس

س. وسُئلنا أصحيح ما ورد في الهلال (ص. ٢ من السنة ١٩٢٦) انَّ سبب نسبة المحافل الماسونية باسماء شرقية كسوريا وفلسطين والاردن هو الاعتقاد الشائع بأن سليمان الحكيم هو مؤسس الماسونية. ثم انَّ الحبر الاعظم يحلق شعر رأسه ووجهه وحاجبيه

نسبة المحافل الماسونية باسماء شرقية — علاقة الحبر الاعظم لشعره — رسالة انتيلوس

ج نسبت الماسونيَّة الى سليمان الحكيم احدى الخرافات التي اوردها صاحب الهلال في كتابه تاريخ الماسونيّة وقد فنَّدنا هذا الرأي مع غيره من مزاعم الماسونيّة في كتابنا السر المصون في شيعة الفرمسون (ص ٧) — امَّا كون الحبر الاعظم يحلق رأسهُ وحاجبيه فلا صحَّة لهُ وانَّما يحلق شعر وجهه فقط وهي عادة جرت عند اكليروس الغرب منذ نحو ٢٠٠ سنة ولا علاقة لها بالدين. امَّا الرأس فلا يُحلَق منهُ سوى الاكليل دلالةً الى اختصاص الاكليروس عموماً بخدمة الله

واما ما رواهُ الهلال في جوابه عن وصف هيئة السيِّد المسيح فنقول عن رسالة مزوَّرة لا اصل لها فنتعجَّب كيف الهلال يذكرها كاثر تاريخي وقد فنَّدناها سابقاً في المشرق (٩ [١٩٠٦]: ٤٣٩—٤٤٣)

ل. ش